إعجاز القرآن الكريم
وأثره في حفظ اللغة العربية

دكتور/ عوض حسن علي الوادعي
أستاذ مساعد- قسم القرآن الكريم وعلومه
كلية الشريعة وأصول الدين- جامعة الملك خالد بأبها
المملكة العربية السعودية

ملخص البحث:

يعنى هذا البحث ببيان العلاقة الوثيقة بين القرآن الكريم وعلوم اللغة العربية ، ويوضح مكانة القرآن الكريم العليا عند أهل اللغة من نحويين وغيرهم ، فقد تضمنت مصنفاتهم توجيهات للقراءات القرآنية المختلفة ، وبيان أسرار اختيار المفردة، وكيفية توظيفها في السياق القرآني واستعمالها في موضع معين دون غيره ، وهذا البحث بمثابة ثمرة من ثمرات الإعجاز القرآني ، وتحقيقاً لوعد الله تعالى بحفظ القرآن العظيم ، وهو تذْكير بفَضْل ومكانة العربيَّة ، وما تشتمل عليه من خصائص .

ظل القرآن الكريم محوراً للدراسات العربية ، التي قامت أساساً لخدمته ، ومنها الدراسات اللغوية ، ولولاه لاندثرت اللغة العربية الفصحى ، فقد كانت الغاية الأساسية من تأسيس علوم اللغة العربية وتحولها إلى صناعة بعد أن كانت سليقة هو صيانة العقل عن الخطأ في فهم الكتاب والسنة .

وقد أفصح البحث عن أثر القرآن العزيز في حفظ مفردات اللغة العربية ، ووجوه نطقها ، وبلاغة نظمها ، وجمال صوتياتها ، وتطوير حروف كلماتها .

وهذا البحث – بإذن الله – جديد في موضوعه ، وأصيل في نتائجه ، عُني بمظاهر الإعجاز القرآني وملامحه ومميزاته ؛ لإظهار فضل القرآن الكريم على اللغة العربية ، فالقرآن وهو عربي العبارة يتسع لما لا يحصى من جزئيات في اللغة العربية ، وتكمن مقاصد البحث في الخروج بجملة مهمة من النتائج والكشوف التي أرجو أن تضيف شيئاً – ولو يسيراً – للمكتبة القرآنية خاصة ، والمكتبة الإسلامية واللغوية عامة .

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين أما بعد :

فاللغة العربية [١] فرع من فصيلة كبيرة من فصائل اللغات ، يجمعها مصطلح " اللغات السامية " [٢]، وأول من أطلق عليها هذا الاسم ، هو المستشرق " شلوتسر " أخذاً من تقسيم الشعوب الموجود في التوراة . . . وهذه التسمية مختصرة ومناسبة ، كما هو الواجب في التسميات الاصطلاحية " [٣] .

وقد عُني اللغويون العرب في فترة مبكرة منذ أواخر القرن الأول الهجري بدراسة اللغة العربية ، وشاركهم في ذلك الأعاجم الذين دخلوا الإسلام في شرح قواعد العربية وآدابها للآخرين ، وتوجها القرآن الكريم حيث ارتفع بها إلى مكانة سامية لم تصل إليها لغة من اللغات ، فارتبطت هذه اللغة بالقرآن ، واجتهد الجميع في دراستها وتحديد معالمها ، فاهتم المسلمون باللغة العربية بهدف التأصيل والتوثيق والبيان.

وظلت علاقة الدين باللغة العربية علاقة وثيقة في العصور الإسلامية كلها ، بل كان الباعث الحقيقي لاهتمام العلماء باللغة في كل الشواهد هو " ضبط نصوص القرآن الكريم، وتعليم الطلاب لغة القرآن، وتشكلت مناهج التعليم في تلك العصور الإسلامية، على المزج بين المعارف الدينية واللغوية في الكتاتيب والمساجد والمجتمعات، ثم في

---

(١) اللفظ الوارد في القرآن هو (اللسان) حيث وردت خمس عشرة مرة مفردة، منها ثلاث مرات ذكر اللسان منعوتاً بأنه عربي ، واقترن لفظ (العربي) بـ (المبين) في مرتين ، واستخدم لفظ اللسان عشر مرات في القرآن ، وليس من باب المصادفة استخدام ابن خلدون لفظ (اللسان) المنعوت بـ (العربي) في مقدمته مرات كثيرة كما استخدمت في الأسلوب القرآني ، وسبب تسمية لغة القرآن الكريم (اللسان العربي المبين) يرجع إلى أن لغة القرآن ليست في الواقع لغة (لهجة) عربية واحدة، بل هي عبارة عن مجموعة من اللغات (اللهجات) العربية التي تستخدم أداة التعريف (ال) في بداية الاسم . ينظر : تاريخ ابن خلدون (ص : ٦٩ و ٣٠٦ و ٤١٢ و ٤٧٤ و ٤٧٥ وغيرها) . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، لمحمد فؤاد (ص : ٨٢١) ، ويعد تعريف اللغة عند ابن جني في " الخصائص " (١ / ٣٣) من التعريفات الدقيقة إلى حد بعيد ، حيث قال عن حد اللغة : " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "، وقال ابن خلدون في "تاريخه" (١ / ٧١٥): "اللغة ملكة في اللسان، وكذا الخط صناعة ملكتها في اليد".

(٢) لغة القرآن ، لمحمد رواس (ص : ٨) .

(٣) فصول في فقه العربية ، لرمضان عبد التواب (ص : ٢٥) .

المدارس النظامية فيما بعد، ومن ثم كان اللغوي غالباً رجل دين، ولا ترى عالماً من علماء اللغة القدامى إلا كان مقرئاً أو مفسراً أو محدثاً أو متكلماً أو فقيهاً " [1]، وهذا الأمر عن العربية وفضلها وقيمتها واضح وجلي في نظر المستشرقين [2].

أهمية البحث وأسباب الاختيار :

تعود أهمية البحث وأسباب الاختيار إلى أهمية الموضوع ، وتكمن في النقاط التالية :

أولاً : أهمية اللغة العربية بعلومها وفنونها وأثرها في فهم كلام الله تبارك وتعالى على وجه العموم .

ثانياً : أجماع السلف على أن الإلمام باللغة العربية ومعرفتها من شروط المفسر ، وأن رتبة المفسر متوقفة عليه ولا تتم إلا به .

ثالثاً : انفتاح البحث العلمي في الآونة الأخيرة أوقفنا على وهن العلاقة بين لغات الكتب القديمة واللغات الحديثة المطابقة لها في الاسم ، فكان من أهمية البحث إبراز مدى التطابق والصلة الوثيقة بين لغة القرآن الكريم والعربية في يومنا هذا .

مشكلة البحث وأسئلته :

تنطلق إشكالية هذا البحث من بعض الأسئلة العلمية المتعلقة بمظاهر إعجاز الكتاب العزيز ، ولمعالجة هذه الإشكالية حاولت في هذا البحث الإجابة عن أسئلة جوهرية أذكر منها على سبيل المثال:

أولاً : كيف حفظ القرآن الكريم اللغة العربية منطوقة مسموعة ؟

ثانياً : هل اللغة العربية قادرة على أن تكون لغة المستقبل ؟

---

(١)المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية ، لعابدين (ص : ١٠٢). نقلاً عن : فصول في فقه العربية ، لرمضان عبد التواب (ص : ١٠٨) .

(٢) ينظر : اللغة العربية ، لنذير حمدان (ص : ١٣٣) نقلاً عن : مقال " إنصاف العربية في كتابات المستشرقين ، للدكتور عبدالعزيز بن سعد الدغيثر ، موقع " شبكة صيد الفوائد ، رابط : ١=www.saaid.net/Doat/aldgithr/٣٣.htm?print_it.

ثالثاً : ما العلاقة بين علم الأصوات اللغوية وعلم التجويد ، وما حدود الاستفادة من علم الصوتيات الحديث في خدمة هذا العلم ؟

وهذا البحث يعني بمناقشه هذه التساؤلات، مناقشة تجمع بين الالتزام بأصالة المنبع، وثبات المفاهيم، وتطورات البحث العلمي المعاصر.

منهج البحث :

سلكت في تحقيق مقصود هذا البحث المنهج الاستقرائي الذي يتمثل في تتبع كلام أهل الاختصاص لتحقيق المقصود ، ثم المنهج التحليلي لتحديد ما له علاقة بموضوع البحث ، وأخيراً المنهج الاستنتاجي للتوصل إلى علاقات الربط بين الإعجاز القرآني وحفظ اللغة العربية .

الدراسات السابقة :

لم أجد من أفرد هذا الموضوع ببحث مستقل ، لكن هناك دراسات أوضحت جهود علماء القرآن في بيان إعجاز القرآن الكريم ، وهناك دراسات بينت جهود علماء اللغة في خدمة القرآن الكريم ، أو قامت برد الشبهات الموجهة لعلماء اللغة في إنكار القراءات القرآنية [1] .

وبحثي هذا يؤصل للعلاقة بين الأمرين ، ثم يذكر الأمثلة والنماذج التطبيقية من جهود علماء علوم القرآن واللغويين في هذا الميدان على نحو مجمل.

---

(١) يقول الزركشي في " البرهان في علوم القرآن " (٢ / ٩٠) : " وقد اعتنى بذلك الأئمة ، وأفردوه بالتصنيف ، منهم القاضي أبو بكر بن الباقلاني ، قال ابن العربي: ولم يصنف مثله ، وكتاب الخطابي ، والرماني ، والبرهان لعزيزي ، وغيرهم وهو علم جليل ، عظيم القدر ؛ لأن نبوة النبي ﷺ معجزتها الباقية القرآن ، وهو يوجب الاهتمام بمعرفة الإعجاز " ، وقد حفل كل عصر باهتمام علمائه بهذا العلم ، ومن أسبق ما صنف مفرداً فيه ووصل إلينا كتاب الرماني (ت ٣٨٦هـ) والخطابي (ت ٣٨٨هـ) والقاضي الباقلاني (ت٤٠٣ه) وعبد القاهر الجرجاني ٤٧١هـ ، وممن تلا هؤلاء الرازي (ت ٦٠٦هـ) والزملكاني (ت ٦٥١ هـ) والسيوطي (ت٩١١هـ) ومن أحسن ما كتب المعاصرون "النبأ العظيم" للعلامة محمد عبدالله دراز ، و"مداخل إعجاز القرآن " للعلامة محمود محمد شاكر ، و" فكرة إعجاز القرآن " للعلامة الأستاذ نعيم الحمصي ، و" الإعجاز البلاغي " للعلامة الدكتور محمد محمد أبو موسى، و" المدخل الوجيز إلى دراسة الإعجاز في الكتاب العزيز " للعلامة الدكتور محمود أحمد غازي.

خطة البحث :

ولتحقيق ما انعقد البحث لمعالجته، جاءت هذه الدراسات – بعد المقدمة – في تمهيد ومبحثين يتضمنان عدة مطالب ، ثم خاتمة على النحو التالي :

التمهيد : ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم .

المبحث الأول : وجه الإعجاز القرآني في حفظ اللغة العربية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الإعجاز القرآني ووجوهه .

ويشتمل على ثلاث مسائل :

المسألة الأولي : تعريف الإعجاز القرآني لغة واصطلاحاً .

المسألة الثانية : تحقيق ركن الإعجاز وشروطه في إعجاز القرآن الكريم .

المسألة الثالثة : وجوه الإعجاز القرآني .

المطلب الثاني :علاقة حفظ اللغة العربية بالإعجاز القرآني .

وفيه تمهيد ، ومسألتان :

المسألة الأولي :دوام الإعجاز القرآني .

المسألة الثانية : التلازم بين دوام الإعجاز القرآني وحفظ اللغة العربية .

المبحث الثاني : أثر القرآن الكريم في حفظ اللغة العربية .

وفيه تمهيد ، وثلاثة مطالب على النحو التالي :

المطلب الأول : أثر القرآن الكريم في حفظ المفردات العربية .

وفيه مسألتان :

المسألة الأولي : أثر القرآن الكريم في حفظ المفردات القرآنية .

المسألة الثانية : أثر القرآن الكريم في حفظ سائر المفردات العربية .

المطلب الثاني : أثر القرآن الكريم في حفظ علم الأصوات اللغوية وضوابط النطق العربي .

وفيه تمهيد ، ومسألتان :

المسألة الأولى : أثر القرآن الكريم في حفظ علم الأصوات اللغوية .

المسألة الثانية : أثر القرآن الكريم في حفظ ضوابط النطق العربي .

المطلب الثالث : أثر القرآن الكريم في حفظ الذوق العربي تعبيراً وتدويناً .

وفيه تمهيد ، ومسألتان :

المسألة الأولى : أثر القرآن الكريم في حفظ البلاغة العربية .

المسألة الثانية : أثر القرآن الكريم في حفظ الخط العربي وتطوره .

الخاتمة : دونت فيها خلاصة ما توصلت إليه .

التمهيد

ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم

إن اللغة العربية تتميز بعدة خصائص وسمات لم تحظ بها أي لغة أخرى ؛ ولذلك جعلها المولى عز وجل لغة القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُـــونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (سورة الشعراء ، الآيات : ١٩٢ – ١٩٥) ، ومن هنا يتضح منزلة هذا الارتباط بين القرآن الكريم ولغته .

وكان نزول القرآن باللغة العربية أهم حدث في مراحل تطورها ، فقد وحد لهجاتها ، وأضاف إلى معجمها ألفاظاً كثيرة ، وارتقى ببلاغتها وتراكيبها ، وأصبح سبباً في نشأة علوم اللغة كالأصوات وفقه اللغة والكتابة والخط والبلاغة وغيرها .

إن معرفة علوم اللغة العربية من الضروريات على أهل الشريعة؛ إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهما عربيان ونقلهما العرب عن الصحابة والتابعين ؛ وكذلك شرح مشكلاتها من لغتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة [١] .

ولقد اختار الله تعالى لكتابه أفصح اللغات ، وجعلها محفوظة بحفظه ، فهناك تلازم بين القرآن الكريم واللغة العربية ، كما تدل النصوص القاطعة على أن اللسان العربي هدف في هذه الرسالة ، وهو جزء من الإعجاز الذي تحمله ، ولولا هذه العربية التي حفظها القرآن على الناس، وردهم إليها، وأوجبها عليهم... لما تماسكت أجزاء هذه الأمة [٢].

وقد شكل الاشتراك بين اللغة العربية والقرآن الكريم مظهراً إجتماعياً متلازماً ، فالحفاظ على اللغة يعني الحفاظ على القرآن ، وصيانة لغة القرآن تقتضي صيانة لغة العرب ؛ لقيام علم اللسان العربي بحفظ الألفاظ ، ومعرفة قوانين تلك الألفاظ وما تدل عليه ، ولارتباط وجود اللغة العربية التأريخي بوجود القرآن التشريعي ، واستمرار رقيها بلمح من إستمراره ، ولما كان القرآن الكريم معجزة محمد ﷺ الخالدة ، وهو

---

(١) ينظر : مقدمة ابن خلدون (ص : ٣٥٢).

(٢) ينظر : تحت راية القرآن ، للرافعي (ص : ٣٨ – ٣٩) .

مرقوم بهذه اللغة الشريفة ، فالخلود متصل بينهما رغم عادية الزمن ، وهذا أمر يدعو إلى الاطمئنان على سلامة اللغة ، وأصالة منبتها [1] .

وأحدث القرآن الكريم تحوّلاً كبيراً في أسلوب اللغة العربية، ونستطيع أن نفهم هذا التحوّل من مقارنة أسلوب القرآن مع ما وصل إلينا من الأدب الجاهلي ، ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم كان عاملاً مهماً في الارتقاء بالنثر الفني العربي، فلم يكن القرآن شعرًا ، ولا نثرًا ، ولا خطابة ، ولا مزاوجة، ولكنه جاء على نهج غير معهود عند العرب ، ومتميز على المألوف من كلامهم .

وبهذا يتضح أن اللغة العربية ذات خصائص متميزة من القدم والأصالة والاتساع والاشتقاق، ويكفي الرجوع إلى القسم الثاني من فقه اللغة للثعالبي " سر العربية في مجاري كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن على أكثرها " [2]، فهو يبرز بشكل تطبيقي مشفوعاً بالشواهد المأثورة دقائق وكنوز ما في العربية.

(١) ينظر : المبادئ العامة لتفسير القرآن ، للصغير (ص : ٤٠ – ٤١) .

(٢) فقه اللغة (ص : ١١٩٢ – ١٣٩٨) .

المبحث الأول

وجه الإعجاز القرآني في حفظ اللغة العربية

المطلب الأول: الإعجاز القرآني ووجوهه

المسألة الأولى: تعريف الإعجاز القرآني لغة واصطلاحاً

الإعجاز مصدر أعجز وهو ماض رباعي ، وأصل المادة يدل على الفوات ، والضعف ، وعدم القدرة ، يقال : أعجزه الشيء بمعني : فاته ، وعجز عن الشيء ضعف عن تحصيله ، وعجز عن الأمر لم يطقه[1]، والمعاجز من يري عجز الغير عن القدرة عليه ، أو يثبطه عن المضي في أمر حتى يدعه، وقد توعد القرآن فاعل ذلك قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (سورة الحج ، الآية : ٥١) ، قال ابن عرفة في قوله تعالى : ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ : " أي :يُعاجِزُون الأَنبياءَ وأَولياءَ الله ، أَي يقاتلونهم ويُمانِعُونهم ؛ ليُصَيِّروهم إِلى العَجْزِ عن أَمر الله " [2].

والله عز وجل وتعالت قدرته لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (سورة العنكبوت ، من الآية : ٢٢)، وقد نطق بذلك الجن المؤمن في دعوته لقومه ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ (سورة الجن ، الآية: ١٢)، والظن هنا بمعنى اليقين[3] .

وأما الإعجاز في الاصطلاح : فيقصد به في هذا البحث بيان ضعف المخلوق – كائناً من كان – عن النيل الحقيقي من مكانة القرآن الكريم ، من حيث القضايا التالية :

١- القرآن الكريم كلام الله تعالى .

٢- أنزل الله تعالى القرآن علي نبيه محمد ﷺ .

٣- تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم حتى قيام الساعة فلا يعتريه تغيير قط .

---

(١) ينظر : مادة (عجز) في كل من : لسان العرب ، لابن منظور (٥ / ٣٦٩) . القاموس المحيط ، للفيروزآبادي (ص : ٦٦٣ –٦٦٤). المصباح المنير ، للفيومي (٦ / ٤٨ – ٥١) . مختار الصحاح ، للجوهري (ص : ٤٦٧) .

(٢) لسان العرب ، لابن منظور (٥ / ٣٦٩) .

(٣) ينظر : زاد المسير ، لابن الجوزي (٦ / ٨١) .

٤- القرآن الكريم منزه عن مشابهة كلام الخلق.

قال الجرجاني : " الإعجاز في الكلام هو أن يؤدى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق " [١] ، ومن الواضح أن هذا تعريف للإعجاز البلاغي ، وقيل : "إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة –وهي القرآن– وعجز الأجيال بعدهم " [٢] عن ذلك ، وقيل : " نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله " [٣].

وعند تحقيق النظر واستيفاء الفكر والتدقيق فيما سطره الأولون والمعاصرون من تعريفات ، يمكن أن أعرف الإعجاز القرآني بأنه : " نزول القرآن بلا مثيل خارقاً للعادة ، مقروناً بتحدي العالمين ، سالماً عن المعارضة على مدى العصور ، بثبوت عجز الخصوم مهما كثروا وتعددت علومهم " .

المسألة الثانية: تحقق ركن الإعجاز وشروطه في إعجاز القرآن الكريم

لا شك أن الركن الأعظم للإعجاز هو التحدي ، فبدون هذا التحدي لا مجال للإعجاز ، ولذا كانت المعجزة أمراً خارقاً للعادة ، مقروناً بالتحدي ، يجريه الله تعالى على يد أنبيائه ، دليلاً على صدقهم ، مثل قول نبي الله صالح لقومه: ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ﴾ (سورة الأعراف ، من الآية : ٧٣) ، ومثل قول نبي الله موسى لفرعون : ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴾ (سورة الشعراء ، الآية : ٣٠) ، قال السيوطي : " المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة ، وهي إما حسية وإما عقلية ، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم؛ ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر " [٤].

---

(١) التعريفات ، للجرجاني (ص : ٤٧) .

(٢) مباحث في علوم القرآن ، للقطان (ص : ٢٦٥) . الواضح في علوم القرآن ، لمصطفى البغا ومحيى الدين مستو (ص : ١٥١) .

(٣) الموسوعة القرآنية المتخصصة ، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين (ص : ٦٩٢) .

(٤) الإتقان في علوم القرآن (٢ / ٣١١) .

ومن البدهي أنه يشترط إعلام المتحدى بهذا التحدي ، كما يشترط بداهة أيضاً مرور وقت كاف بعد الإعلام ، يخول للمتحدى خلاله ممارسة كل طاقاته ، والوسائل الممكنة له ، ويفسح له المجال لإظهار موقفه من هذا التحدي ، ويدل على هذين الشرطين قول فرعون : ﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ (سورة طه ، من الآية : ٥٨) ، ورد موسى ﷺ : ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (سورة طه ، من الآية : ٥٩) .

فإذا استطاع المتحدى الرد وإبطال دعوى المعاجز فلا إعجاز ؛ لأنه لا عجز ، وأما إذا انقضى الوقت الكافي أو المحدد ، دون رد فيحكم بعجز المتحدى ، وثبوت الإعجاز .

وإعجاز القرآن الكريم قد استوفي كل ما يمكن إيراده من شروط وأركان ، وقد انقضت أربعة عشر قرناً كاملاً منذ تحدي القرآن الكريم العالمين بقوله : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (سورة الإسراء ، الآية : ٨٨) ، ولا يزيدهم انقضاء الأيام العالمين إلا عجزاً وضعفاً وقصوراً [١].

وأما الذين بان عجزهم وضعفهم وقلة حيلتهم فهم الثقلان منذ نزول هذه الآيات وإلي يومنا هذا بجميع أجناسهم وأنواعهم ، ومهما عظمت قواهم ومعارفهم ومداركهم، ومهما تراكمت أحقادهم ، وعظم شنآنهم ، وإن امتاز الأقدمون بالفصاحة والبلاغة ، فقد حاز أعداء القرآن من المعاصرين من الأدوات والتقنيات والأجهزة الحديثة ما لا عهد للبشرية بمثله ، ومع ذلك فقد ثبت عجز الجميع بلا استثناء .

وشاء الله أن كثيراً ممن يتخذون العلم الحديث سبيلاً لهدم فكرة قرآنية ينتهي بهم الأمر إلي الإيمان بالله رب العالمين ، والإيمان بالقرآن الكريم ، وبالرسول الأمين .

المسألة الثالثة: وجوه الإعجاز القرآني

تعددت وجوه الإعجاز القرآني ؛ لأنه معجزة للثقلين ، فاشتمل على ما يعجز كل من يفكر في التصدي له ، مهما كان تمكنه وثقله في مجال تخصصه ، وقد أشار النبي الكريم ﷺ إلى هذا المعني بقوله: " ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن ، للزركشي (٢ / ٩١) .

آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي " [1].

وقد اهتم كثير من العلماء بالإعجاز اللغوي في القرآن ؛ لأنه مجال تخصص العرب وقت نزوله ، وهو الذي جعلهم يقفون مبهورين مذهولين مسلمين بعظمته وتفرده واستحالة معارضته ، ويشهد لهذا أن الوليد بن المغيرة قال لأبي جهل : " والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ، ولا برجزه ولا بقصيده مني ، ولا بشاعر الجن ، والله ما يشبه الذي يقول محمد شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو وما يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته"[2].

والإعجاز القرآني متجدد ، فهو معجز لأهل كل عصر في مجال تخصصهم ؛ ولذا أطلق المعاصرون لفظ " الإعجاز العلمي " على أوجه الإعجاز التي لم يطلع عليها إلا بالتقنية الحديثة ، والعلوم الجديدة ، ومهما ثار أو دار من المناقشات أو المجادلات حول أحقية هذا المجال الإعجازي ، فلا يمكن لأحد أن يغض الطرف أو يماري في أمر يقيني جلي آمن على مثله طائفة من الخلق ، من بعد جحود وعناد يندر أمثالهما ، كما أنه لا يجوز التوسع في هذا المجال ، بحيث يخرج عن حد القطعي اليقيني إلي المتوهم أو المظنون ظناً لا يغني من الحق شيئاً؛ لأن ذلك يفضي بطريق أو بأخرى إلى الصد عن سبيل الله .

---

(١) أخرجه البخاري في " صحيحه " ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : كيف نزول الوحي وأول ما نزل ، رقم " ٤٦٩٦ " (٤ / ١٩٠٥) ، وغيرها من المواضع . وأخرجه مسلم في " صحيحه " ، كتاب : الإيمان ، باب : وُجُوبِ الإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، رقم "٤٠٢ " ، (١ / ٩٢) .

(٢) الخبر الطويل أخرجه الحاكم في " مستدركه " (٢ / ٥٥٠ ، رقم : ٣٨٧٢) ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري و لم يخرجاه " ، ووافقه الذهبي . والبيهقي في " دلائل النبوة " (٢ / ١٩٨) . وابن كثير في " البداية والنهاية " (٣ / ٧٨) وفيه : " قال إسحاق بن راهويه: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب السختياني، عن عكرمة، عن ابن عباس " ، به . والسيوطي في " الدر المنثور " (١٥ / ٧٢ –٧٣) ، وعزاه للحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل .

وحين تحدى القرآن الكريم الثقلين ، وأعلن عجزهم عن أن يأتوا بمثله ، فقد أطلق المماثلة ، ولذا شاعت في كل الاحتمالات ، وثبت العجز عن مماثلة القرآن في أي وجه من الوجوه التفصيلية التي لا تحصى من كثرتها ، ويمكن إرجاعها إلى أربعة وجوه إجمالية ، هي :

أ – الإعجاز اللغوي والبلاغي .

ب– الإعجاز في الإخبار بالمغيَّبات .

ج – الإعجاز العلمي .

د– الإعجاز التشريعي.

ولدي قناعة كاملة بأن إعجاز الهداية من أهم وجوه إعجازه الإجمالية ، لكنها حجة اقتناعية ، وليست إقناعية ، بمعنى أن غير المسلم يمكنه عدم التسليم بها مكابرة في المناظرة ، رغم قناعته بها في قرارة نفسه ، كما قال الله تعالى :﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (سورة النمل ، من الآية : ١٤) ، قال الباقلاني : "إنه أنزله ليقع الاهتداء به، ولا يكون كذلك إلا وهو حجة، ولا يكون حجة إن لم يكن معجزة " [(١)].

المطلب الثاني: علاقة حفظ اللغة العربية بالإعجاز القرآني

تمهيد

تثبت هذه العلاقة عبر تسلسل القضايا التالية :

أولاً : القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين .

ثانياً : تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم .

ثالثاً : فدل ذلك على التلازم بين حفظ القرآن الكريم وحفظ اللغة العربية .

رابعاً : هذه الميزة من خصائص القرآن الكريم .

ولذا فسأتناول هذا المطلب في مسائل توضح تلك القضايا .

---

(١) إعجاز القرآن (ص : ٩) .

وراجع هذه المسألة في : أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني ، للدكتور عمر محمد باحاذق (ص : ١٥ – ١٧).

المسألة الأولي: دوام الإعجاز القرآني

من خصائص المعجزة القرآنية دوامها ، فلا تفنى ولا تبيد ، ولا يلحقها التغيير ولا التبديل ، وهذه السمة في حد ذاتها معجزة من معجزات القرآن الكريم ؛ لوجود النص عليها في آياته ، وتحققها رغم تطاول الأزمان وتتابع الإحن والمحن ، التي جرت العادة بأنها تحول دون الاستمرارية والدوام ، مع كثرة الأعداء وتنوع صنوفهم في كل زمان ومكان .

ولكن جرى هذا الإعجاز تحقيقاً لوعد الله عز وجل في قوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر ، الآية : ٩) ، فتكفل الله تعالى بحفظه : ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾ (سورة يوسف ، من الآية : ٢١) ، وأخبرنا بأن ذلك قضاء مبرم ، ثبت بنص محكم ، فلا مجال لأي احتمال مناف لذلك .

وقد أشارت آية أخرى إلى أن الكتب السابقة لم تحظ بمثل ذلك ، بل صرحت آيات كثيرة بجريان قلم التحريف ، بين مواضعها ، يعبث بالألفاظ ، ويحرف المعاني .

وأعني بالآية ذات الإشارة قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (سورة المائدة ، الآية : ٤٤)فدلت بعبارتها ومنطوقها على أن الربانيين والأحبار طلب منهم حفظ الكتب الإلهية ، ودلت بمفهومها وإشارتها على أن الله تعالى لم يتكفل بحفظها من تحريف المغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين(١) .

وأما الآيات المصرحة بوقوع التحريف فيها ، قوله تعالى : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (سورة النساء ، الآية : ٤٦) .

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي – عند تفسير الآية رقم : ٩ ، من سورة الحجر – (١٠ / ٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة المائدة ، من الآية : ٤١) .
وقوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٧٩) .

هذا في المكتوب ، وأما في المقروء فقد أثبت القرآن الكريم قيامهم بتأليف كلام من عند أنفسهم ، ثم يتلونه على السامعين بلهجة خاصة تعودوا أن تصاحب تلاوتهم لما في الكتب ؛ ليلبسوا على الناس : ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ٧٨) .

وقد حفظ الله تعالى كتابه العزيز مكتوباً – تراه الأعين في السطور – ، ومقروءًا – يتلى من حافظة الصدور – ، وقام دليل الإعجاز في الوجهين ، فالمكتوب معجز ؛ حيث توفي النبي ﷺ والقرآن كله مكتوب في الصحف ، وجمعت تلك الصحف بعينها بعد وفاته مباشرة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم نسخ منها الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وتتابع النسخ بعد ذلك بما لا يحصيه عد من المخطوطات والمطبوعات .

ومع ذلك فكل النسخ متطابقة ، وهذا هو الإعجاز بعينه ؛ فليس في طاقة جن ولا إنس أن يصنعوا مثل ذلك ولا قريباً منه مع أي مكتوب ، وصدق الله العظيم : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ

اللَّـهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (سورة النساء ، الآية : ٨٢) ، وقد شهد بهذا الإعجاز كثير من المستشرقين المنصفين [١].

وأما الإعجاز في حفظ المقروء فقد جاء تحقيقاً لقول الحق – تبارك وتعالى – : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (سورة القمر ، الآية : ١٧) ، فهذا سر تيسير حفظه دون سواه من كل مقروء، ومهما نزل بالمسلمين من المحن وأطاح بهم من الشدائد ، فلا يزال الحفظة لكتاب الله تعالى أعدادهم هائلة لخصومهم ، تزيد ولا تنقص ، حتى يمكن القول بأن البلد الواحد من بلاد المسلمين اليوم يوجد به من الحفظة ضعف أو أضعاف الحفاظ في عصر الصحابة رضي الله عنهم [٢].

ومما يدل علي دوام الإعجاز القرآني قوله تعالي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (سورة فصلت ، الآيتان: ٤١-٤٢)فحفظ الله تعالى كتابه من أن يقترب منه الباطل من بين يديه ومن خلفه ، ولهذه الكلمة من مدلولاتها التي جري بتحبيرها أقلام المفسرين ، ومن بين دلالاتها استمرار إعجازه [٣].

---

(١) ينظر : واقعية المنهج القرآني ، للسبع (ص : ١١٧) .

موقع شبكة الألوكة ، موضوع : شهادة المستشرقين ، الشيخ زيد بن عبدالعزيز الفياض ،تاريخ الإضافة: ١٦/٧/٢٠١٠ م – ٤/٨/١٤٣١ ه ، رابط الموضوع : http://www.alukah.net/web/fayad/٠/٢٣٧٦٩/#ixzz٤u٤٢FOtH٤. موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، /.../quran-m.com/quranالقرآن–الكريم. *تأملات في بعض شهادات الغربيين المُنصفين*...، مقال : للدكتور ناصر أحمد سنه .

(٢) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، لابن جزي (ص : ٢٢٣٤) . فتح القدير ، للشوكاني (٧ / ٩٠) . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي (ص : ٨٢٥) .

(٣) ينظر : جامع البيان ، للطبري (٢١ / ٤٧٩ – ٤٨٠) . المحرر الوجيز ، لابن عطية (٦ / ٣٥ – ٣٦) . تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٧ / ١٨٣) . تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي (ص : ٧٥٠) .

المسألة الثانية: التلازم بين دوام الإعجاز القرآني وحفظ اللغة العربية

نالت العربية شرف نزول القرآن بلسانها : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة يوسف ، الآية : ٢) ، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ (سورة الرعد ، الآية : ٣٧) ، وقد اقترن بالآيات المبينة لهذا المعني الدعوة إلي التذكير ، وإعمال العقل ، وتحصيل العلم ، والتحلي بالتقوى .

فمن الدعوة للتذكير : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (سورة الزمر ، الآيتان : ٢٧ – ٢٨).

ومن الدعوة إلي إعمال التذكير قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الزخرف ، الآية : ٣) .

ومن الدعوة لتحصيل العلم قوله تعالى : ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزخرف ، الآية : ٣) .

ومن الآيات الدالة علي وجوب التحلي بالتقوى كثمرة للتأمل في هذه النعمة قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (سورة طه، الآية: ١١٣).

وكان من ثمرة التدبر وإعمال العقل في هذا الزمان أن نبين مدى الإعجاز القرآني في حفظ اللغة العربية التي نزل بها ، فاعتمد المسلمون منذ فجر الإسلام وجوب تعلم اللغة العربية ؛ لأن ذلك من باب " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " ، يقول القاضي عياض: " ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر ، الآية : ٩)، وقال : ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (سورة فصلت ، الآية : ٤٢)وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا خبرها " [1].

(١) الشفا (١ / ٢١٠) .

المبحث الثاني

أثر القرآن الكريم في حفظ اللغة العربية

تمهيد

تتبعت أثر القرآن الكريم في حفظ اللغة العربية فوجدت آثاراً كثيرة ومتشعبة ، وقد نال كل منها الدرجة العليا في بابه ، فأعملت ذهني في إرجاعها إلى عدد محدود من الأصول ، يمكن تأطيرها في هذا البحث ، فكانت في مطالب كالآتي :

المطلب الأول : أثر القرآن الكريم في حفظ المفردات العربية .

المطلب الثاني : أثر القرآن الكريم في حفظ علم الأصوات اللغوية وضوابط النطق العربي .

المطلب الثالث : أثر القرآن الكريم في حفظ الذوق العربي تعبيراً وتدويناً .

المطلب الأول: أثر القرآن الكريم في حفظ المفردات العربية

أمرنا الله تعالى بتلاوة القرآن ، وفهم معانيه ، والعمل بما فيه ؛ فلزم من ذلك اهتمام الأمة بمعرفة معنى مفرداته ، وأحكام آياته .

حيث بدأت العلاقة بين العربية بمفهومها العام والقرآن مبكرة في المدينة على يد النبي ﷺ في تفسيره بعض الآيات المشكلة، والألفاظ الغريبة، وفي حثه على تدبر ألفاظ القرآن ومعانيه والتماس غرائبه.

قال أبو بكر الأنباري: " جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ وَتَابِعِيهِمْ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ من تفضيل إعراب القرآن، والحصن عَلَى تَعْلِيمِهِ، وَذَمِّ اللَّحْنِ وَكَرَاهِيَتِهِ مَا وَجَبَ بِهِ عَلَى قُرَّاءِ الْقُرْآنِ أَنْ يَأْخُذُوا أَنْفُسَهُمْ بِالِاجْتِهَادِ فِي تَعَلُّمِهِ " [(١)].

فكان العرب المسلمون في الصدر الأول يلجأون إلى الرسول ﷺ ؛ للسؤال عما غمض عليهم ، فكان يجيب عن التساؤلات، التي كانت تدور حول ما أشكل من ألفاظ القرآن الكريم، وغيرها[(٢)] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١ / ٢٣) .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة (١ / ٥ – ٦) . معاجم معاني ألفاظ القرآن الكريم ، للهابط (ص : ١٣) .

فعند تفسير قوله تعالى:﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾(سورة يونس، من الآية : ٢٦)، روى القرطبي " حديث أنس ، قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى:﴿ وَزِيَادَةٌ﴾قال: " ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ العمل في الدنيا لهم ﴿الْحُسْنَى﴾ وهي الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم "[١] ، ولم تكن أسئلتهم للرسول ﷺ حول غريب القرآن الكريم كثيرة؛ لأنهم كانوا يعرفون أكثر ما يقوله؛ حيث "كان اللسان العربي عندهم صحيحاً مَحْرُوساً لا يَتَدَاخَلُهُ الخَلل ، ولا يَتَطرَّقُ إليه الزَّلَل " [٢] .

وبعد وفاة الرسول ﷺ كان الناس يسألون أهل العلم باللغة من كبار الصحابة رضي الله عنهم عما غمض عليهم في كتاب الله تعالى، وتُعد اجتهادات ابن عباس رضي الله عنه أول باكورة في معاجم [٣] تفسير غريب القرآن ، قال السيوطي:"وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة "[٤].

ولهذه التفاسير التي عرفت مبكراً قيمتها اللغوية، والتفسيرية ؛ وذلك لأنها توقف " من يدرُس القرآن، على معاني ألفاظه عند العرب، حين أوحاه الله إلى رسوله ﷺ ، فكثيراً ما تتغير قِيَم الألفاظ، وإن لم تتغير معانيها تغيُّرا أساسياً، ونحن أحوج ما نكون، إلى معرفة القِيَم التي كانت لكل لفظ من ألفاظ القرآن الكريم حين نزوله .

صحيح أن المفسرين شرحوا لنا مراقي هذه الألفاظ، ومعانيها ؛ لكن هؤلاء المفسرين : جاءوا بعد قرون من نزول الكتاب الكريم، وبعد أن كانت قيم الألفاظ، قد ازدادت قوتها، أو نقصت !

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٨ / ٣٣٠) ، وعزاه لأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب في رواية، وحذيفة وعبادة بن الصامت وكعب بن عجرة وأبي موسى وصهيب وابن عباس في رواية ، وهو قول جماعة من التابعين ، وقال : " وهو الصحيح في الباب " .

(٢) ينظر : النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير (١ / ٣) .

(٣) وقد عرف يسري المعجم في " معجم المعاجم اللغوية " (ص : ١٧) بأنه: مرجع يشتمل على مفردات لغة ما مرتبة عادة ترتيباً هجائياً، مع تعريف كل منها ، وذكر معلومات عنها من صيغ ونطق واشتقاق ومعان واستعمالات مختلفة .

(٤) الإتقان في علوم القرآن (١ / ٣٠٥) .

فلا بد للباحث في كتاب الله – ليكون بحثه علمياً دقيقاً – من أن يقف على القيم الدقيقة لهذه الألفاظ حين نزولها، حتى يبلغ الغاية من الدقة المرجوّة"[1].

وأحسن مثال لهذا ما دار من حوار بين نافع بن الأزرق وحبر الأمة عبد الله بن عباس رضي لله عنهما ، حيث كان نافع يسأل عن معنى الكلمة القرآنية ، فيبينه حبر الأمة ، ويعطف على ذلك بإيراد ما يشهد لذلك التفسير من كلام العرب[2] .

ويمكن القول بأن علماً كاملاً هو " غريب القرآن " قد نشأ وشب واكتمل حيث تتابعت المؤلّفات في غريب القرآن منذ النصف الأول من القرن الأول للهجرة إلى يومنا هذا ، حتى قال السيوطي : " أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون " [3]، وقد استقرأ غير واحد من الباحثين [4] ما صُنِّف في غريب القرآن وقاموا بجهود مشكورة في محاولة حصر هذه المؤلفات ، ولكن معظم هذه الكتب فُقد ، ويلاحظ على هذه المصنفات أنها لم تقتصر على الألفاظ الغريبة ، بل تعدتها إلى ذكر بعض الألفاظ المعروفة لدى عامة الناس .

ووجود هذه المصنفات لتحقيق مقصد فهم ألفاظ القرآن العظيم ، وهي ما تعرف بمعجمات غريب القرآن الكريم ، فظهر منهج رتب الغرائب مراعياً ترتيبها في المصحف وصولاً إلى سمتين ظاهرتين هما :

أ – تحقيق الفهم والتدبر للقرآن العظيم .

ب – التيسير على طلاب هذه اللغة من أجل حفظ الدين والعقل معاً .

---

(١) من تقديم الدكتور محمد حسين هيكل لكتاب "معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري " ، لمحمد فؤاد عبدالباقي، (ص:د)، وينظر : معاجم معاني ألفاظ القرآن الكريم ، للهابط (ص : ١٣) .

(٢) أخرجه الطبراني في " المعجم الكبير " (١٠٩/٩ – ١١٩ ، رقم : ١٠٤٥٠) .

(٣) الإتقان (١ / ٣٠٣).

(٤) كالدكتور حسين نصار في المعجم العربي . وأحمد الشرقاوي في معجم المعاجم . والدكتور علي شواخ إسحاق في معجم مصنفات القرآن الكريم . والدكتور ابتسام الصفار في معجم الدراسات القرآنية . والدكتور عبد الرحمن بن محمد الحجيلي في " المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم " . والدكتور يسري عبد الغني في " معجم المعاجم العربية " (ص : ٤٣ – ٥٠).

و" المناهج التي سارت عليها المؤلفات السابقة في (غريب القرآن) نجد أنها لا تخلو من أحد طريقين:

الطريق الأول: ترتيب الألفاظ حسب ورودها في المصحف الشريف ، وهو الأقدم ، درج عليه أغلب المصنِّفين في غريب القرآن الكريم .

والطريق الثاني: ترتيب الألفاظ وفق حروف الهجاء (الألفبائي) .

وجرى على هذا المنهج المؤلفون الآخرون ، متأثرين بترتيب اللغويين في (معاجم الألفاظ) أو ما سمّي بـــ (المعاجم المجنّسة) [1] ولكنهم لم يسيروا على وتيرة واحدة في هذا الترتيب أيضاً " [2].

وهدف تأليف المعاجم اللغوية هو العناية باللغة العربية ، والتي " تتمثل في العناية بأهم عنصر فيها وهي الألفاظ القرآنية ؛ إذ إن القرآن الكريم هو الأساس المتين للغة العربية" [3] ، وقد اعتمد مجمع اللغة العربية في القاهرة على هذا المنهج الرائد ، فأصدر معجم ألفاظ القرآن الكريم في مجلدين ضخمين، قام بإعداده جماعة من الأساتذة والمتخصصين ، فعرضوا لمفردات القرآن كافة، فكل كلمة قرآنية شرحوها ونصوا على معانيها المختلفة .

---

(١) هو نوع يشرح معاني الألفاظ ، ويبين أصلها، وما اشتقت منه ، ويعتمد صاحبها في ذلك على نظام معين في ترتيب المواد اللغوية ؛ بحيث يمكنه جمع اللغة بطريقة حاصرة سواء على نظام التقليبات أم القافية أم الأبجدية . انظر : المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم ، للحجيلي (ص : ١٦– ٢٣) . نشأة المعاجم العربية وتطورها ، للسقال (ص : ٣٥) .

(٢) المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم ، للحجيلي (ص : ١٦).

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم ، من إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة (المقدمة : ي) ، قلت : وكان استئناس أهل اللغة بمفردات القرآن حافزاً لأعلام الأوروبيين في فهرسة ألفاظ القرآن بإطارها العلمي ، المنظّم ، قام المستشرق الألماني " جوستاف فلوجل " بإصدار فهرس موضوعي لآيات القرآن الكريم عني بألفاظ القرآن ومفرداته وأسماه : « نجوم الفرقان في أطراف القرآن » حوالي عام ١٢٥٧هـ ، وكان هذا العمل أساساً محكماً لما إعتمده محمد فؤاد عبد الباقي في وضع : (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) . ينظر: ملاحظات على مساهمات المستشرقين في الدراسات القرآنية ، للدكتور شتيفان فيلد (ص : ٥ و ١٢ – ١٣) . المبادئ العامة لتفسير القرآن ، للصغير (ص : ١٠٩) .

ثم إن التأليف في غريب القرآن كان في مراحله الأولى، يعتمد في تفسير كلماته على الشعر وخاصة الجاهلي منه، كما في مسائل نافع بن الأزرق، وقد فعل ذلك ابن قتيبة في "غريب الحديث" حيث إنه استشهد بالأشعار والأحاديث وأقوال العرب [(١)]، ولقد وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه المسلمين إلى ذلك فقال:" أيها الناس : عليكم بديوانكم شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم"[(٢)].

ومن هنا تفنن علماء اللغة في بيان معاني الكلمات القرآنية ، من حيث أصل وضعها اللغوي ، وتطور دلالاتها ، وعلاقتها بمعنى اللفظة القرآنية ، وتقدير المعنى الإجمالي على كل احتمال ، ودونوا كل ما وقفوا عليه من آثار شرعية ، وشواهد لغوية ، وقرنوا بين مدلولاتها والكلمات القرآنية ، واللغة العربية مدينة بإرساء قواعدها لأصالة القرآن الكريم ، يقول الهروي : " إن اللغة العربية إنما يحتاج إليها لمعرفة غريبي القرآن وأحاديث الرسول عليه السلام والصحابة والتابعين " [(٣)].

ولأهمية الألفاظ العربية اشترط في المفسر معرفتها والإلمام بها، فقد نقل عن ابن تيمية أنه أرجع الخلط في الدين عند أهل البدع إلى قلة فهم اللغة العربية؛ حيث قال : " لَا بُدَّ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ مِنْ أَنْ يُعْرَفَ مَا يَدُلُّ عَلَى مُرَادِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ الْأَلْفَاظِ وَكَيْفَ يُفْهَمُ كَلَامُهُ ، فَمَعْرِفَةُ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي خُوطِبْنَا بِهَا مِمَّا يُعِينُ عَلَى أَنْ نَفْقَهَ مُرَادَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِكَلَامِهِ ، وَكَذَلِكَ مَعْرِفَةُ دَلَالَةِ الْأَلْفَاظِ عَلَى الْمَعَانِي ؛ فَإِنَّ عَامَّةَ ضَلَالِ أَهْلِ الْبِدَعِ كَانَ بِهَذَا السَّبَبِ " [(٤)].

وتعتبر التفاسير الأولى المبكرة للقرآن الكريم تمثل نوعاً من التأليف اللغوي ؛ لتعلقها ابتداء ببيان دلالات المفردات القرآنية ، يقول فؤاد سزكين : " ومن

---

(١) غريب الحديث (١ / ١٥١) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١١ / ١١١) .

(٣) الغريبين (١ / ٥) .

(٤) مجموع الفتاوى (٧ / ١١٦) ، قلت : ويؤكد هذه الحقيقة ابن فارس في " الصاحبي " (ص : ١٠) .

البين بذاته أن أقدم تفاسير القرآن أو بعضها على الأقل كانت ذات طابع معجمي ، وهذا ما تؤيده الروايات " [1].

وهذا ما فعله الراغب الأصفهاني في "مفردات ألفاظ القرآن الكريم " ، حيث قال : " ألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم" [2]، وتعتبر أبواب التفسير الضخمة في كتب الحديث النبوي ومصنفاته ككتاب التفسير في صحيحي البخاري ومسلم ، وما في بقية كتب السنة ، والمقصود بذلك هو التفسير النبوي ، والكثير من هذه الأحاديث فسرت غموض الألفاظ القرآنية وعدم وضوحها .

ثم تأتي مصنفات التفسير بالمأثور التي جمعت الأقوال المأثورة في تفسير الآيات القرآنية ، وقد اشتملت هذه التفاسير على تفسير القرآن بالقرآن والتفسير البياني والتفسير المعجمي والتفسير التشريعي والتفسير الموضوعي فبدأ ذلك متكاملاً في محتوياته عند أبي جعفر الطبري في تفسيره الشهير (جامع البيان) واستمر العطاء الجزل إلى اليوم حافلاً .

وعندما اختلط العرب بغيرهم من الأمم بسبب الفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الدولة ، ودخول الناس في دين الله أفواجاً ظهرت بوادر اللحن في العربية ؛ فاستدعى ذلك القيام بما يحفظ العربية ويصونها من اللحن والاختلاط ، ويمكّن غير العرب من تعلّمها، فأخذ العلماء في جمع اللغة، ورسم قواعدها، فأثمر ذلك عدداً ضخماً من المؤلفات في علوم العربية كافة، ومنها (المعاجم) ، فقد كان الهدف من تأليفها منذ نشأتها حصر مفردات اللغة ، وشرح معانيها ، ونفي كل ما هو غريب عنها ؛ لتبقى الفصحى (لغة القرآن الكريم) خالصة نقية ، لا تشوبها شائبة ، ولا يخالطها لحن أو تحريف .

---

(١) تاريخ التراث العربي (مج ٨ ، ١ / ص : ١٤) .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن الكريم (١ / ٣) .

وتعتبر المعاجم اللغوية خزائن اللغة وكنوزها ، والحديث عنها يعتبر حديثاً عن جمع اللغة ؛ إذ ليست المعاجم اللغوية إلا مجامع للغة ، وقد مر هذا الجمع بثلاث مراحل ، كما نص على ذلك الأستاذ أحمد أمين (١) ، وقد نالت المعاجم العربية مكاناً مرموقاً بين المعاجم سواء في الزمان أو المكان (٢) .

ويعتبر التأليف اللغوي المعجمي الشامل قد بدأ على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب "العين" الذي يعتبر أول معجم لغوي يصل إلينا على وفق الترتيب الصوتي ، وأول معجم من نوعه في تاريخ اللغات ، وبعد الخليل رائداً لهذه الطريقة الرياضية ، فكان معجماً فريداً رتب فيه المواد على الحروف بحسب مخارجها ، وتوالت بعد ذلك جهود العلماء في التأليف المعجمي (٣).

وقد نحا هذا النحو كثير من المصنفين ، حيث بينوا أن حرصهم على تأليف المعاجم ، والكتابة في فقه اللغة ، إنما ينبع من رغبتهم في خدمة الراغبين في فهم القرآن الكريم ، ومنهم الثعالبي (٤) ، والأزهري (٥) ، وابن منظور (٦).

(١) ينظر : ضحى الإسلام (٢ / ٢٦٣ – ٢٦٦).

(٢) ينظر : موسوعة المفاهيم الإسلامية ، نشره : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ، أعده عويسيان التميمي البصري (ص : ٦٠٩) .

(٣) ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس ، للأنباري (١ / ١١) . دور البصرة في نشأة الدراسات اللغوية ، لزهير غازي (ص : ١٠) . القراءات المتواترة وأثرها في اللغة العربية ، للحبش (ص : ٢٤) .المفصل ، للدكتور جواد علي (١٧ / ٢١١) .

(٤) ينظر : فقه اللغة (ص : ١٨).

(٥) ينظر : تهذيب اللغة (١ / ٥ – ٦).

(٦) ينظر : لسان العرب (١ / ٧ – ٨) .

المطلب الثاني: أثر القرآن الكريم في حفظ علم الأصوات اللغوية وضوابط النطق العربي

تمهيد

تعد الدراسات الصوتية ممهدة للدراسة الصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية، ولا وجود لهذه الدراسات بدون علم الأصوات [1] ، فمباحث النحو – مثلاً – مبنية في أساسها على ما يقرره علم الأصوات من حقائق ونتائج ، على أنها أفادت من علم النحو عامة ومن كتب سيبويه خاصة ، وقد " كان علم الأصوات جزءاً من أجزاء النحو لكنه سرعان ما إنزوى عند أهل القراءات والتجويد وزاد فيه هؤلاء الكثير من المباحث مستوحاة من التنزيل العزيز "[2].

إن نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف من أجل التيسير على الأمة في التلاوة ، وحفظ اللهجات العربية التي كتب الله لها البقاء [3] ، وكان من أثره نشأة علم القراءات وعلم الأصوات ، واللهجات العربية ، حيث تعتبر كتب علماء القراءة والتجويد أكثر الكتب احتفاءً بالمادة الصوتية؛ وذلك لكون الهدف الأوّل لعلماء التجويد هو تعليم الأداء الصحيح لألفاظ القرآن الكريم طبقاً للغة

---

(١) يعرف علم الأصوات بأنه: علم يبحث في مجال الأصوات الإنسانية اللغوية من حيث مخارجها وكيفية إخراجها وخواصها وكيفيّة صدورها ، وكيف يتم سماعها وإدراكها . ينظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، للسعران (ص : ٨٤ وما بعدها) .

(٢) في البحث الصوتي عند العرب ، للعطية (ص :٥) ، وانظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، للمخزومي (ص :١٤٩).

(٣) جاء في صحيح البخاري : " أقرأني جبريل على حرف ، فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف " (كتاب : فَضَائِلِ الْقُرْآنِ ، باب : أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، رقم " ٤٦٠٧ " ، (١٥ / ٣٩١) ، وغيرها من المواضع) ، وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : " : يَا أُبَيُّ ، أُرْسِلَ إِلَيَّ : أَنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ : أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي ، فَرَدَّ عَلَيَّ فِي الثَّانِيَةِ : أَنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ : أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي ، فَرَدَّ عَلَيَّ فِي الثَّالِثَةِ : أَنِ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ " (كتاب: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه ، (٢ / ٢٠٢ ، رقم : ١٩٤١) .

العربية وتأدية كلمات القرآن الكريم قراءةً وتدويناً إلى حدٍّ جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أن هذه المصنفات انفردت بالدرس الصوتي وأغنته [١] .

المسألة الأولى: دور القرآن الكريم في حفظ علم الأصوات اللغوية

لم تكن كلمة (التجويد) [٢] مستعملة في عصر الرسول ﷺ بالمدلول الذي صارت تدل عليه فيما بعد ، ولم يرد في القرآن الكريم من مادة (ج و د) شيء في وصف القراءة ، وكانت هناك كلمات أخرى تعطي معنى التجويد يتم تداولها في زمن الرسول ﷺ وأصحابه ؛ مثل: الترتيل[٣]، والتحسين [٤]، والتحبير [٥] ، والتزيين [٦]، وكانت هذه المفردات تُستعمل عند الالتزام بفصاحة اللغة العربية والقراءة الجيّدة للقرآن الكريم.

وقد مر علم التجويد في نشأته بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة التلقي والمشافهة ، وتسمى التجويد العملي[٧] ، وهي تمتد من عصر النبوة إلى بداية ظهور المؤلفات الأولى في علم القراءات وعلوم العربية في القرن الثاني الهجري، فكان اعتمادهم في تعليم القرآن في ذلك الوقت على السماع فقط ، والقرآن نزل

---

(١) ينظر : الأصوات ووظائفها ، للقماطي (ص : ٨٨) .

(٢) التجويد عند أهل اللغة بمعنى تحسين الشئ وتزيينه ، يُقال: جوّدت الشيء؛ أي: حسّنته. وتجويد الشيء أيضاً: إحكامه وإتقانه . ينظر: لسان العرب ، لابن منظور (٣ / ١٣٥ – ١٣٨) .

(٣) جاءت كلمة (الترتيل) في القرآن الكريم في قوله : ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (سورة الفرقان، من الآية :٣٢) وقوله : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (سورة المزمل، الآية ٤) ، وينسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في " الإتقان ، للسيوطي (١ / ٢٢١) " : "الترتيل : تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف" .

(٤) ينظر : السنن الكبرى ، للنسائي (٥ / ٢٢ ، رقم : ٨٠٥٢) .

(٥) ينظر : حلية الأولياء ، لأبي نعيم (١ / ٢٥٨ و ٣٠٢) .

(٦) ينظر : السنن الكبرى ، للنسائي (٥ / ٢١ ، رقم : ٨٠٥٠) .

(٧) والتجويد العملي هو " قراءة آيات القرآن الكريم وألفاظه قراءة صحيحة موافقة ومشابهة لقراءة النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم".

باللغة العربية كما قال تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (سورة الشعراء ، الآية : ١٩٥) والنبي ﷺ والصحابة كانوا من العرب، إذن فالقرآن نزل بلغتهم فلم يكن صعباً عليهم أن ينطقوه كما يسمعوه(١).

وهي مرتبطة بنزول القرآن على الرسول ﷺ ؛ فالقرآن نزل مجوداً ، ولم يكن التجويد منفصلاً عن القرآن (٢)، وهذا يدل على أن هذا العلم توقيفي ، واضعه من الناحية العملية رسول الله ﷺ ، وهذه المرحلة تمتد من عصر النبوة إلى بداية ظهور المؤلفات الأولى في علم القراءات وعلوم العربية في القرن الثاني الهجري ، وقد كان الهدف الأوّل لعلماء التجويد في هذه المرحلة هو تعليم الأداء الصحيح لألفاظ القرآن الكريم طبقاً للغة العربية (٣) .

المرحلة الثانية: مرحلة تدوين أصول التلاوة في كتب القراءات وعلوم اللغة، ويسمى التجويد العلمي أو النظري ، وترجع نشأته إلى بداية القرن الثاني ، وهذه المرحلة تمتد من بداية التأليف في هذين العلمين حتى ظهور أول مؤلف في علم التجويد ، ولم تكن الكتب التي صنفت فيها مختصة بعلم التجويد ، بل شملت معه كل ما يتصل به من الظواهر اللغوية ، حيث إن " أصل العلمين واحد، وأن الموضوعات التي يدرسانها واحدة ، سوى أن علم التجويد يركز على المباحث الصوتية التطبيقية المتعلقة بقراءة القرآن ، وأن علم الأصوات يعنى بكل المباحث المتصلة بأصوات اللغة ، وأحسب أن

---

(١) نسب لعبدالله بن مسعود في " الإتقان ، للسيوطي (١ / ٢٨١) أنه قال : "جودوا القرآن" ، ولكن في المصادر القديمة جاءت كلمة "جردوا" بدل "جوّدوا"، والمراد كراهية نقط المصاحف عن السلف، والظاهر أنها صحّفت في المصادر المتأخّرة. ينظر : المحكم في نقط المصاحف ، للداني (ص : ١٠) .

(٢) ينظر : ثبوت القرآن الكريم وسلامته عند أهل السنة والجماعة ، للوادعي (ص : ١٠ – ١٤) ، بحث محكم وقابل للنشر بمجلة كلية الشريعة بجامعة الملك خالد.

(٣) ينظر : الكتاب ، لسيبويه (١ / ٤٤٨) ، والتحديد ، للداني (ص : ١٠١ و ١٦٨) ، والخصائص ، لابن جني (١/ ١٥٣) ، وحجة القراءات ، لابن زنجلة (١ / ٩٢) ، ومقال" المخارج والصفات . . بين تأصيل القدامي وأوهام بعض المحدثين " ، بقلم :أبي عمر عبد الحكيم عبد الرازق فولى ، موقع " ملتقى أهل التفسير " تاريخ الإضافة : ١٩ / ٣ / ١٤٣٣هـ الموافق : ١١ / ٢ / ٢٠١٢ م https://vb.tafsir.net/tafsir٣٠١٠٦.

ما يبدو من اختلاف بين العلمين في بعض الموضوعات والمصطلحات والوسائل إنما هو خلاف شكلي سوف يتلاشى في المستقبل القريب ، إن شاء الله تعالى ، بسبب زوال الموانع بين المشتغلين في ميدان التجويد والمشتغلين بعلم الصوت الحديث ، وحرص الكثير منهم على خدمة القرآن الكريم بأحدث ما وصل إليه العلم ، مع عدم التفريط بثوابت القراءة القرآنية " [١].

وأبرز هذه الدراسات ما ذكره الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ) عن مخارج الحروف وصفاتها ، فهو صاحب أول دراسة صوتية منهجية في تاريخ الفكر الصوتي عند العرب [٢] ، ولسيبويه (ت١٨٠هـ) في (الكتاب) في باب الإدغام خاصة [٣] ، وتقسيمه لمخارج الأصوات أكثر دقة وشمولاً من تقسيم الخليل مقارنة بالدراسات الصوتية الحديثة ، واعتمد على السماع الذي يسميه المشافهة ، كما اعتمد على استقراء اللهجات جيدها ورديئها[٤]، وللمبرد (ت٢٨٥هـ) في كتاب (المقتضب) في أبواب الإدغام[٥]، وابن دريد (ت٣٢١هـ) في مقدمة جمهرة اللغة [٦] ، ويعد ابن جني (ت٣٩٢هـ) في سر صناعة الإعراب[٧] أوّل مَن استخدم مصطلح "علم الأصوات" ، " حين عبَّر عن موضوع الكتاب بـ (علم الأصوات والحروف) ، ولا تقتصر جهود ابن جني الصوتية على ما في سر الصناعة وإنما تتعدّاه إلى كتبه الأخرى، وفي مقدمتها الخصائص الذي

(١) الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد ، إجابة عن سؤال : ما الفرق بين علم التجويد وعلم الأصوات؟ ، رابط الموقع : www.dr-ghnim.com .

(٢) ينظر : العين (١ / ٤٧ – ٦٠) .

(٣) ينظر : الكتاب (٤ / ٤٣١ – ٤٨٥) .

(٤) ينظر : دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية ، للمعيبد (ص : ٥) . علم اللغة ، للسعران (ص : ٨٠– ٨١) . كلام العرب، لظاظا (ص : ١٦) .

(٥) ينظر : المقتضب (ص : ٤٣ – ٥٨) .

(٦) ينظر : جمهرة اللغة (١ / ٤١ – ٥٢) ..

(٧) ينظر : سر صناعة الإعراب (١ / ٤٠) .

تضمن مادة صوتيةً غنيّةً جاء بعضها منثوراً في تضاعيف الكتاب[1]، وأُفرد بعضها الآخر في أبواب مستقلة[2]، لكن من جاء بعده من علماء العربية لم يوفقوا في استثمار تلك اللمحة من ابن جني والبناء عليها ، وقد تمكن علماء قراءة القرآن بعده من استخلاص المباحث الصوتية من كتب علماء العربية ، وأفردوها في كتب خاصة ، واختاروا لها تسمية جديدة ، كانت في أول الأمر تتكون من عنصرين : الأول المخارج والصفات ، والثاني التجويد والإتقان ، فسمَّى مكي بن أبي طالب كتابه " الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها " ، ومعاصره الداني سمى كتابه " التحديد في الإتقان والتجويد " ، ثم غلبت كلمة التجويد في عناوين الكتب التي ألفها العلماء في العلم من بعدهما .

وقد أسهم علماء القراءات[3] في إضافة تفصيلات صوتية إلى ما أثر عن الخليل وسيبويه ؛ لأن القراءات القرآنية نفسها يتيسر لدارس الأصوات اللغوية كتابتها بصورة أدق،وتسجيل تلاوتها تسجيلاً صوتياً ، فسجلوا خصائص صوتية تنفرد بها التلاوة القرآنية ، وبالتالي يكون تعلمها أبسط وأيسر من أخذها عن طريق كتب التجويد[4]،ولا يمكن أن تعد الكتب التي ألفها القرّاء في وصف القراءات القرآنية بدءا للتأليف في علم التجويد؛ لأن علم القراءة وعلم التجويد، وإن كان كل منهما يرتبط بألفاظ القرآن،

---

(١) ينظر : "الخصائص "نحو كلامه على " حروف الهمس " وكلامه عن " جرس الحرف وأثره في الدلالة" (٥٥ – ٦٦) ، وكلامه عن الروم والإشمام (٢ / ١٤٤ – ١٤٥) . وكلامه

(٢) ينظر : "الخصائص "نحو كلامه على " باب : في كَمِّيّة الحركات" و " باب : في مطل الحركات " و "باب : في مطل الحروف " (٢ / ١٢٠ – ١٣٣) .

(٣) ترجع كتب القراءات القديمة إلى القرنين الثاني والثالث فإنه لم يصل إلينا منها شيء يذكر، وقد سبق ابن مجاهد في التأليف فصنف أبو عبيد القاسم ابن سلاّم (ت ٢٢٤ هـ) صنف كتبه في خمسة وعشرين قراءة ، والْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَالِكِيُّ صَاحِبُ قَالُونَ أَلَّفَ كِتَابًا فِي الْقِرَاءَاتِ جَمَعَ فِيهِ قِرَاءَةَ عِشْرِينَ إِمَامًا ، وابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ألف كتاباً فيه زيادة عن عشرين قراءة ، وابن مجاهد صنف كتاب " السبعة في القراءات " . ينظر : النشر ، لابن الجزري (١ / ٣٤) . مناهل العرفان ، للزرقاني (١ / ٤١٦) .

(٤) ينظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، للسعران (ص : ١٠٤و ١٠٩).

يختلفان في الموضوع والمنهج [١]،وأقدم نص وردت فيه كلمة (التجويد) بالمعنى الاصطلاحي هو قول ابن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ) : " اللحن في القرآن لحنان : جليٌّ وخفيٌّ ، فالجلي لحن الإعراب ، والخفي ترك إعطاء الحرف حَقَّهُ من تجويد لفظه"[٢].

المرحلة الثالثة: مرحلة ظهور المؤلفات المختصة بعلم التجويد [٣] ، وكان ذلك في القرن الرابع الهجري ، وكان أول تأليف مستقل في علم التجويد يرجع إلى بدايات القرن الرابع الهجري ، وهو قصيدة رائية لأبي مزاحم الخاقاني ، وقد قالها أبو مزاحم في حسن أداء القرآن ، وقصيدته مكونة من واحد وخمسين بيتاً ذكر فيها عدداً من موضوعات التجويد ، قال ابن الجزري – وهو يترجم لأبي مزاحم الخاقاني البغدادي–: " هو أول من صنّف في التجويد في ما أعلم ، وقصيدته الرائية مشهورة ، وشرحها الحافظ أبو عمرو " [٤].

ولا يعني تأخر ظهور التأليف في علم التجويد أن القراء كانوا ينطقون القرآن قبل ذلك على غير أصل واضح، كما لا يعني أن علماء التجويد اختلقوا هذه الأصول أو ابتدعوها، فالواقع هو أن قراء القرآن كانوا يُعْنَونَ غاية الاعتناء بتجويد الألفاظ وإعطاء الحروف حقها منذ عصر الصحابة وهلم جرا حتى عصر ظهور المؤلفات في علم التجويد، وكانوا يستندون في ذلك إلى الرواية الأكيدة والأصول المرعية عند العرب في نطق لغتهم [٥] .

---

(١) ينظر : الدراسات الصوتية ، لغانم الحمد (ص : ٢٠) ، قلت :وقد بين العلماء الفروق بين علم التجويد وعلم القراءات بما لا يتسع المقام لذكره هنا . ينظر : ترتيب العلوم ، للمرعشلي (ص : ١٣٨) .

(٢) التحديد ، للداني (ص : ١١٦) .

(٣) يقصد العلم الذي يبحث في مخارج الحروف وصفاتها والأحكام المترتبة من تركيب الحروف في الكلام المنطوق .

(٤) غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري (٢ / ٣٢١) .

(٥) الدراسات الصوتية ، لغانم الحمد (ص : ٢٢ – ٢٣) .

وانظر : الميسر في علم التجويد ، لغانم الحمد (ص : ١٦ – ١٧) .

إن معظم مؤلفات علم التجويد قد ظهرت في القرن الخامس الهجري ، فإن هذا العصر يمثل التاريخ الحقيقي لظهور أعظم المؤلفات في علم التجويد ، على أن أوسع ما وصلنا في علم التجويد كتاب " الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة " ، للإمام المقرئ أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي(١).

وقد قام الأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد باستقصاء المصنفات والمؤلفات في علم التجويد ، وقد أوصل المصنفات إلى ما يزيد على مائة كتاب ورسالة في علم التجويد ما بين مطبوع ومخطوط ، ورتبها من بداية التأليف حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري بحسب وفاة مؤلفيها (٢).

المسألة الثانية: أثر القرآن الكريم في حفظ ضوابط النطق العربي

تتميز اللغة العربية بسعة مفرداتها وتعدد معانيها وألفاظها التي لا تكاد تحصى ، قال الشافعي : "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه " (٣).

وشيَّد المسلمون بنيانهم العلمي الأصيل على القرآن، فنشأت في كنفه علوم شتَّى ، ومن العلوم الَّتي نشأت في كنف القرآن علوم العربيَّةُ ومن فروعها الأصوات والنَّحو والدّلالة والمعجم والبلاغة، وكان النَّحو العربي في نشأته من أشد العلوم التصاقاً بالقرآن ، وهو يعنى بالضوابط التي ينطق بها الكلمات نطقاً صحيحاً ، واصطلح على أن العناية بضبط آخر الكلمة يسمى " النحو " ، والعناية بضبط سائر أحرف الكلمة يسمى " الصرف " (٤).

ويعد النحو العمود الفقري للدراسات العربية ، وأصل العلوم العربية، وأقدمها نشأة ،

---

(١) حققه : د . أحمد حسن فرحات ، الناشر: دار عمار – الأردن ،الطبعة : الثالثة ، ١٤١٧ هـ/١٩٩٦م .

(٢) الدراسات الصوتية ، لغانم الحمد (ص : ٢٥ – ٤٤) .

(٣) الرسالة (ص : ٣٤) .

(٤) ينظر : رسائل ابن حزم (٤ / ٦٦) . أصول علم العربية في المدينة ، بحث منشور في " مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة " ، للصاعدي (٣٨ /٣٣٢) . اللغة العربية معناها ومبناها ، لتمام حسان (ص : ٢٤٢) . النحو العربي القديم ، لأبي شنب (ص : ١٥ – ٢٢) .

وترجع أسباب وضع النحو إلى أسباب عدة ، أهمها :الحرص على أداء القرآن الكريم أداءً فصيحاً سليماً ، ولم يك قبل الإسلام ما يحمل العرب على النظر إليه فإنهم في جاهليتهم كانوا في غنى عن معرفته؛ لأنهم كانوا ينطقون عن سليقة جبلوا عليها ، وعند نزول القرآن الكريم كانت لغة العرب فصيحة نقية من الشوائب(١).

فلما انتشر الإسلام خارج الجزيرة العربية ودخل الناس فيه أفواجاً اضطر العرب للاختلاط بغيرهم من الأعاجم في سائر الأمصار فنتج عن هذا التخاطب بين الطرفين فساد في اللغة وظهر اللحن (٢)، وشاع على ألسنة أبناء العرب المولدين والأعاجم الذين أسلموا حديثاً بعد الفتوحات الإسلامية ، فهب أولو الأمر من المسلمين بضبط اللغة لضبط الألسن، وبتدوين القواعد واستنباطها لحفظ كتاب الله من اللحن والتحريف في اللفظ ثم في المعنى (٣).

وقد دلت الروايات أن العرب أحسوا بالخطر الذي يهدد لغتهم في منتصف القرن الثاني الهجري، والأمثلة تدل على أن الأوائل خافوا على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من هذا اللحن وحذروا منه (٤) ، ففكروا في وضع قواعد يهتدى بها لحفظ اللغة العربية من خطر اللحن تكون نبراساً يرجع إليه فبرز إلى الوجود علم (النحـــو) .

ومع اتفاق الباحثين على أسباب نشأة النحو العربي نجدهم مختلفين في تحديد أول من وضع أسسه، فبعض الروايات تذكر أن الفاروق عمر بن الخطاب هو الذي أشار على أبي الأسود الدؤلي بوضع ضوابط تقي المتكلم اللحن(٥) ، وبعضها يقول : إن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب كان أول من فكر في وضع القواعد (٦)، وتذكر بعضها أنه الآمر لأبي الأسود الدؤلي بعصف الذهن حتى يستنتج القواعد التي تحمي النطق

---

(١) ينظر : تيسير النحو بين التجديد والفوضى ، للدكتور عبدالرحمن الإمام (ص : ٢) .

(٢) للحن معان، منها مخالفة العرب في سنن كلامهم، قال ابن فارس في " معجم مقـــاييس اللغـــة " (٥ / ٢٣٩) : " فأمَّا اللَّحْن بسكون الحاء فإمالة الكلامِ عن جهته الصحيحة في العربية " .

(٣) ينظر : الخصائص ، لابن جني (٢ / ٥) . المفصل ، لجواد علي (١٧ / ١٤ وما بعدها) .

(٤) ينظر: معجم الأدباء، للحموي (٢٣/١) . الجامع لأخلاق الراوي، للخطيب (٢ / ٢٨ ، رقم: ١٠٨١) .

(٥) ينظر : البحث اللغوي عند العرب ، للدكتور أحمد مختار (ص : ٨٣) .

(٦) ينظر : نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، للطنطاوي (ص : ٢٣– ٢٧) .

العربي[١] ، وتذكر بعضها أن زياد بن أبيه هو الذي أشار على أبي الأسود الدؤلي ، كما تذكر بعض الروايات أن أبا الأسود الدؤلي هو من ابتكر أولى القواعد [٢]، وعرضها على علي بن أبي طالب ففرح بها وأقرها ، وقال له : " انح هذا النحو " [٣] ، وفي حين تعزو بعض الروايات نشأة النحو إلى عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني المقرئ[٤] .

ومهما قيل فالراجح – والله أعلم – أن أبا الأسود الدؤلي هو الذي بدأ هذا العمل سواء بإشارة من عمر بن الخطاب أو علي بن أبي طالب أو زياد بن أبيه أم بتفكيره هو [٥].

وأشهر ما قيل في سبب النشأة أن اللحن فشا وأخذ يتهدَّد النَّص القرآني ويزحف إليه في المدينة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما .

فمن الروايات الكثيرة جداً التي تتحدث عن هذا اللحن ، تلك اللحنة المشهورة أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى : ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ (سورة

---

(١) ينظر : الاعتصام ، للشاطبي (١ / ٢٥٤). نزهة الألباء ، للأنباري (ص : ١٧).

(٢) ينظر: الصاحبي، لابن فارس (ص : ٣). الأوائل، للعسكري (ص:٣٧١).الإصابة، لابن حجر (٣ / ٥٦٢).

(٣) ينظر : تاج العروس ، للزبيدي (٤٠ / ٤٢).

(٤) ينظر : سير أعلام النبلاء ، للذهبي (٩ / ٧٥).

(٥) قال الصَّاعدي في " أصُول عِلْمِ العرَبِيَّةِ فِي المَدِينَةِ " (٣٨ / ٣٥٠) بحث منشور في " مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة "العدد (١٠٥ – ١٠٦) : "الذي أراه أن النحو لا يعزي في وضعه لعالم بعينه، إنما هو جملة من الأنظار والملحوظات والإشارات اللغوية التي أثارها طائفة من النابهين وأصحاب الذائقة اللغوية الرفيعة من الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم، فأسهموا جميعاً – بدرجات متفاوتة– في إرساء الأسس النحوية الأولى في المدينة، ثم انتشرت هذه الملحوظات والأنظار، وتداولها المهتمون بالعربية، في الأمصار، كالبصرة في بادئ الأمر، ثم الكوفة، فكانت النواة للنحو العربي، الذي نضج في أواخر القرن الثاني، وكانت النواة لعلم العربية بعامة ، وكان لهؤلاء الأربعة قدم راسخة في إرساء الأسس لهذا البنيان الشامخ، وكان اشتهارهم في هذا الفن مع تقدم زمانهم مدعاة لأن يرفع الرواة والمؤرخون من شأنهم، وينسبوا إليهم وضع النحو " .

التوبة ، من الآية : ٣) بجر لام رسوله، فقال الأعرابي : أو بريء الله من رسوله ؟ [١] ، وروي عن ابن أبي مليكة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر أن لا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة " [٢].

وقد شيدت مدرسة البصرة صرح النحو ورفعت أركانه ، بينما كانت مدرسة الكوفة مشغولة حتى منتصف القرن الثاني للهجرة بقراءات الذكر الحكيم وروايات الشعر والأخبار [٣] ، ثم أخذت تنافس مدرسة البصرة وتباريها في العناية بالنحو ، ونشوء هاتين المدرستين كان الأساس لسلامة اللغة العربية ، وعليه سار المتأخرون من النحاة ؛ لأن مصادر الدرس النحوي وموارد علم النحو قد تفتقت عنهما ، وكان الدافع الحقيقي وراء هذه الجهود هو الدفاع عن القرآن الكريم ، والسعي لضبط قراءة القرآن وأدائه سليماً على النحو العربي الفصيح ، دون الوقوع في طائلة اللحن، وتساهل العامة في القراءة ؛ ليسلم النص القرآني من التحريف والإيهام.

يقول ابن النديم : " قال محمد بن إسحاق : إنما قدمنا البصريين أولاً لأن علم العربية عنهم أخذ ؛ ولأن البصرة أقدم بناء من الكوفة " [٤].

---

(١) ينظر : الفهرست ، لابن النديم (ص : ٦١). الاعتصام، للشاطبي (١ / ١٩٨) . نظم الدرر، للبقاعي (٨ / ٣٧٣) .

(٢) أخرجه أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري في أماليه بسنده كما في " سبب وضع علم العربية " ، للسيوطي (ص : ٢٧ – ٣١) ، وقال السيوطي : "أخرجه الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق ". وذكره السيوطي في " المزهر في علوم اللغة وأنواعها" (٢ / ٢٦٠) ، وعزاه لأبي بكر بن الأنباري في كتاب " الوقف والابتداء" ، قلت : ابن أبي مليكة هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، ثقة من الثالثة روايته عن عمر مرسلة ، فالأثر ضعيف ، ينظر : تهذيب التهذيب ، لابن حجر (٥ / ٣٠٦ – ٣٠٧) . قال محي الدين الدرويش في " إعراب القرآن وبيانه "(٤ / ٥٥): " فإن المتبادر منه قواعدها وأصولها التي بها يعرف وجوه الكلام بمعونة المقام، إذ لو كان المراد مجرد المتكلمين بالصواب لزم منع كل عجمي منه ، ولم يكن وجه للتخصيص بالعالم باللغة بالنظر الى العرب إذ القوم جميعاً أعراب معتدلو الألسنة بالسليقة ، وتجويزه القرآن لمن كان عارفاً دون غيره صريح في أن منهم عارفين باللغة ومنهم جاهلين بها، فيلزم أن يكون معرفة العارفين قدراً زائداً على ما عند غيرهم ، وليس إلا القواعد والضوابط" .

(٣) المدارس النحوية ، لشوقي ضيف (ص : ٢٠) .

(٤) الفهرست (ص : ٨٩) .

ثم اشترك علماء البصرة والكوفة في النهوض بالنحو من عهد الخليل شيخ الطبقة الثانية من البصريين، وأبي جعفر الرؤاسي شيخ الطبقة الأولى من الكوفيين حتى كملت عناصره في مستهل العصر العباسي الأول على يد المبرد خاتم البصريين وثعلب خاتم الكوفيين، وهكذا أصبحت العربية من الدين، وغدا تعلمها لفهم مقاصد الكتاب والسنة قربة من أجلِّ القربات إلى الله تعالى [1].

وفي هذا يقول الدكتور مهدي المخزومي: " اتَّجهت– طائفة ليست بالقليلة من العلماء في خدمة القرآن – اتّجاهاً لغويًّا، فأخذت تعني بإعراب نصوص القرآن مستعينة برواية اللُّغة، ثم توسَّعت في ذلك، فتناولت بالدِّراسة علل التأليف، أو علل الإعراب، وهي طائفة النُّحاة.

فالنَحو – إذن – وليد التَّفكير في قراءة القرآن" [2].

المطلب الثالث: أثر القرآن الكريم في حفظ الذوق العربي تعبيراً وتدويناً

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : أثر القرآن الكريم في حفظ البلاغة العربية .

المسألة الثانية : أثر القرآن الكريم في حفظ الخط العربي وتطوره .

المسألة الأولى: أثر القرآن الكريم في حفظ البلاغة العربية

لقد بهر العرب بجمال القرآن وروعته ، وعمدوا إلى استجلاء دلالات القرآن ، فالقرآن إلى جانب عطائه اللغوي والأسلوبي قد خلص اللغة من فجاجة الوحشي والغريب ، وهذّب طبع ألفاظها من التنافر والتعقيد ، فلم يعد العربي بعد بحاجة إلى إقصاء ذلك وإستبعاده ، فكأنه لم يكن، فقد تكفل القرآن بتذليل الصعاب [3].

---

(١) نبذة عن نشأة النحو، للأهدل، موقع صيد الفوائد، https://www.saaid.net/Doat/alahdal/٧٣.ht.

(٢) أصُول عِلْمِ العرَبِيَّةِ فِي المَدِينَةِ ، للدكتور عبد الرَّزّاق الصَّاعدي ، بحث منشور في " مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة " ، (٣٨ / ٣٣٢ ، العدد : ١٠٥ – ١٠٦) . وينظر في هذا أيضاً: المفصّل في تاريخ النحو العربي (ص: ١٧). نقلاً عن : أصُول عِلْمِ العرَبِيَّةِ فِي المَدِينَةِ ، للدكتور عبد الرَّزّاق الصَّاعدي ، بحث منشور في " مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة " ، (٣٨ / ٣٣٢ ، العدد : ١٠٥ – ١٠٦) .

(٣) ينظر : نظرات معاصرة في القرآن الكريم ، للصغير (ص :) .

يقول مازن المبارك : " وهكذا نشأت البلاغة وترعرعت تحت راية القرآن والبحث في إعجازه ، وهذا البحث هو الذي وصل بها إلى أن تصبح علماً مستقلاً يُخَصُّ بالتأليف ، بل لقد ظلَّت البلاغة بعد نضجها واستقلالها أيضاً عالقة بفكرة إعجاز القرآن والدفاع عنها " [١].

ولم تقتصر علاقة القرآن بمنهج البحث البلاغي على الدفاع عنه والتماس وجه إعجازه من طريق بيانه ، بل إن ثمة علاقةً أخرى ، وهي الضرورة التي يُحِسُّها المسلم من جهة فَهْم معانيه ، وما يمكن أن ينطويَ وراء تعبيراته من المعاني والمقاصد ، على قَدْر طاقة المشتغلين فيه [٢] .

فكان للقران الكريم أثر كبير في نشأة البلاغة وتطورها [٣] ، حتى جاء أبو هلال العسكري فقرر أن علم البلاغة هو الوسيلة لمعرفة إعجاز القرآن، وذلك إذ يقول : " أنّ أحقّ العلوم بالتعلّم، وأولاها بالتحفّظ بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعزف إعجاز كتاب الله تعالى .

وقد علمنا أنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، وضمّنه من الحلاوة، وجلّله من رونق الطّلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيّرت عقولهم فيها " [٤].

والبلاغة مرتبطة بالنص القرآني نشأة وتطوراً [٥] ، وكان تأثير القرآن واضحاً في اتخاذه مدار الدراسات البلاغية وكانت آياته الشاهد البلاغي الرفيع ، أمدَّها النص

---

(١) الموجز في تاريخ البلاغة (ص : ٤٨) .

(٢) ينظر : أثر القرآن في تطور النقد العربي ، لزغلول (ص : ٢٠٨) . في تاريخ البلاغة العربية ، للعتيق (ص : ١٥) .

(٣)، وقد عرفها العلوي أحد علماء البلاغة في " الطراز لأسرار البلاغة (١ / ١١) " بأنها : " علم يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الإعجاز " .

(٤) كتاب الصناعتين ، لأبي هلال الحسن العسكري (ص : ١) .

(٥) بلاغة النص القرآني ، لعبادي (ص : ٣٠) .

القرآني بكثير من الأمثلة البديعة في محاسن الكلام وبديع النظم ، قال أبو عبيدة : " في القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب ، ومن الغريب ، والمعاني" [(١)]، وكانت إحدى آيات القرآن الكريم مدعاة إلى قيام أبي عبيدة بتأليف كتاب في البلاغة وهو كتاب "مجاز القرآن"، حيث "يذكر المؤرخون أن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب أحد كتّاب الفضل ابن الربيع سأل أبا عبيدة عن معنى آية من القرآن [(٢)] فأجاب عن السؤال واعتزم أن يؤلف مجاز القرآن [(٣)] [(٤)] ، "وخلاصة القول في كتاب المجاز أنه كان خطوة في سبيل الكلام في طرق القول أو المجاز بمعناه العام ، وقد حاول أن يكشف عن بعض ما جاء من ذلك في أسلوب القرآن مع مقارنته بما جاء في الأدب العربي وساعد عليه محصوله الغزير فيه " [(٥)].

وقد حددت هذه المحاولة القول في بعض المسائل والمشكلات في أسلوب القرآن ، والتي صارت في البيان العربي عامة ، كما أنها كانت ذات قيمة لغوية كبيرة أفادت بحوث اللغة [(٦)] ، " وكثير من النحاة ألفوا كتباً في البلاغة أو فيما يتصل بها ، ومنهم من ألفوا كتباً في معاني القرآن " [(٧)]، وقد عاصر أبا عبيدة عالماً آخراً هو الفراء ، حيث ألف كتاب " معاني القرآن " وهو " حول الأسلوب القرآني

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٨) .

(٢) وهي قوله :﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ (سورة الصافات ، الآية : ٦٥) .

(٣) ينظر : تاريخ بغداد ، للخطيب (١٣/ ٢٥٤) . معجم الأدباء ، للحموي (٦ / ٢٧٠٦) .

(٤) وكان أبو عبيدة كثير الاشتغال بالتأليف ، له أكثر من مائة كتاب في موضوعات شتى في القرآن واللغة والأمثال والفتوح والأنساب والمثالب . ينظر : الفهرست ، لابن النديم (ص : ٧٦ – ٧٧) .

(٥) إعراب القرآن وبيانه ، للدرويش (١٠ / ٥٦٧) .

(٦) أثر القرآن في تطور النقد العربي ، لمحمد زغلول (ص : ٥٠) .

(٧) في تاريخ البلاغة العربية ، للعتيق (ص : ٤٣ – ٤٤) ، قلت : وقد ذكر ابن النديم طائفة من أسماء من ألفوا بمعاني القرآن ، وغريب القرآن ، ومن بين هذه المصنّفات من يسمي كتابه معاني القرآن ويسمى غريب القرآن أيضاً ؛ وذلك لعدم الفرق بين الاسمين عندهم . ينظر : الفهرست (ص : ٥٤) .

والبيان القرآني ، وإن كان كتابه أقرب إلى موضوعات علم النحو من موضوعات علوم البلاغة ، بيد أن الفراء لم يغفل العناصر الجمالية ، التي تنطوي عليها الآيات " [1].

البلاغة القرآنية في خدمة إعجاز القرآن الكريم:

حظيت مسألة إعجاز القرآن بالعناية والاهتمام من علماء المسلمين قدامى ومحدثين ، وكان لكل جيل منهم فهمه لمفهوم " إعجاز القرآن " بما يتناسب مع التيار الفكري والمدارس المختلفة في تلك القضية ، وكان اختلاف وجهات النظر في مواطن الإعجاز القرآني مادةً علمية، ساعدت في تأصيل الدراسات البلاغية ،حيث برع المتكلمون في إبراز إعجاز القرآن ، لكنهم تحت تأثير المناهج العقلية دخلوا في سراديب مظلمة ، فكان من الأفكار التي ظهرت في تفسير الإعجاز القرآني ما أسموه "الصرفة " على يد النظام – أحد شيوخ المعتزلة – [2]، مما حدا بكثير من العلماء أن يبحثوا في إعجاز القرآن بأسلوب مختلف ، وقد تصدى الجاحظ لنظرية الصرفة ، لكنه أشاد بهذا السبق للمتكلمين [3] ، واختلفت وجهات النظر في ذلك وتشعبت سبل القول ولكنهم تلمسوا

---

(١) المباحث البلاغية ، للعمري (ص : ٥٠) .

(٢) معنى القول بالصرفة : أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم ، وكان مقدوراً لهم ، ولكن عاقهم أمر خارجي ، فصار كسائر المعجزات . ينظر : الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي (٤ / ٧) .
ولم يكن قبول هذا الرأي الذي يسلب أسلوب القرآن ميزة التفوق والريادة ، فهو لا يرجع إعجاز القرآن إلى خصائص ذاتية فيه ، ولكنه يرد الإعجاز إلى أمر مجهول وقوة خفية ، فهي فكرة باطلة من أساسها .

(٣) ينظر : البيان والتبيين (ص : ٨٨) . المنحى الإعتزالي في البيان ، لأحمد أبو زيد (ص : ٧٧ – ٨٤ و ٢٦٦ – ٢٦٩) .
قلت : يعد الجاحظ أبرز العلماء المعتزلة الذين تصدوا لرأي النظام وإبطاله ، وكان نتيجته " كتاب نظم القرآن " الذي لم يصل إلينا ، ولو وصل لكان مصدراً للدراسات القرآنية ، غير أننا نجد في مصنفاته الأخرى بعض عباراته ، والذي يبدو أنها " فكرة لفظية ، تعتمد على حسن الصوغ ، وكمال التركيب ، ودقة التأليف " ، ولم يقف لغويو القرن الثالث مكتوفي الأيدي حيث ألف ابن قتيبة كتابه « تأويل مشكل القرآن » ممثلاً لرأي أهل السنة، رداً على آراء المتكلمين في تفسير الإعجاز والملاحدة وغيرهم ، ودفاعاً عن القرآن وبلاغته وإعجازه ، فقد أقام منهجه على عرض الآيات القرآنية والاستشهاد لها بنصوص من الشعر العربي ؛ لإقامة الحجة ، وإسقاط دعوى الطاعنين ومحوها. ينظر : المباحث البلاغية ، للعمري=

بلاغة القرآن وبينوا إعجازه فكانت دراساتهم أحسن مصدراً للبلاغة وأجل مورداً لمن أراد أن يتذوق الكتاب العزيز .

ثم جاءت دراسات غرضها شرح أوجه إعجاز القرآن ودراسة أسلوبه ، فقد شهد القرنان الرابع والخامس الهجريان مرحلة خصبة في تأريخ الدراسات البلاغية للقرآن الكريم ، ففيهما نضجت نظريات العلماء في طبيعة الإعجاز، وتحددت اتجاهاتهم في الكشف عن أسراره ، وقد تولد عن هذا الباطل دفاع حكيم ، ولدت منه علوم البلاغة العربية ، وترجع معظم كتب البلاغة سبب تأليفها إلى إظهار مواطن أسرار البيان في القرآن ، ومن أشهر من اهتم بهذا الجانب هو الواسطي في كتابه (إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه) ، والرماني من كبار علماء المعتزلة صاحب رسالة (النكت في إعجاز القرآن) [1] دفاعاً عن القرآن وإبرازاً لوجوه الإعجاز ، الذي يُعَدُّ حلقة مهمة من حلقات التأليف في البلاغة العربية ، وكتابه من أعظم الكتب شأناً ، ويعد مصدراً يستقي منه كل العلماء الذين أتوا بعده وعنوا بالبلاغة العربية عموماً وبلاغات القرآن خصوصاً[2].

والخطابي في كتابه (بيان إعجاز القرآن)جعل البلاغة المرتكز الأساس في تحديد وجه الإعجاز، وجعل بلاغة القرآن على ثلاث مراتب، هي البليغ الرصين الجزل، والفصيح القريب السهل، والجائر الطلق الرسل ذاهباً إلى أن بلاغة القرآن اتخذت نصيباً من كل مرتبة من هذه المراتب [3].

وكتاب (إعجاز القرآن) للباقلاني يعد من أشهر كتب الإعجاز وأعظمها ؛ لأنه الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا ، ويعتبر نموذجاً لاختلاط العلوم الأدبية بالعلوم

=(ص : ٥٧ – ٧٤ و ٨٩– ٩) . الموازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان، لرمضان يخلف (ص: ٣ و ١٥) .

(١) ينظر : النكت في إعجاز القرآن (ص : ٧٦) .

(٢) ينظر : أثر النحاة في البحث البلاغي ، لعبد القادر حسين (ص : ٢٦٥) .المباحث البلاغية ، للعمري (ص : ١١٠ – ١٤٩).

(٣) ينظر : بيان إعجاز القرآن (ص : ٢٦) .

القرآنية ، ومثالاً لامتزاج هذه العلوم كلها بالقضايا الكلامية ، ونموذجاً لتمرس علماء الكلام بالفنون البلاغية والأدبية [١].

وأما عبد القاهر الجرجاني – وهو من المتكلمين الأشاعرة – فهو مطور البحث البلاغي وواضع أصوله الفنية في كتابَيْه " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز " ، وكان لهما منزلة عالية من النضج والإحكام البلاغي ، فقد سبر فيهما أغوار الفن القولي شرحاً وتطبيقاً [٢] ، وفيهما توجيه علوم البلاغة توجيهاً خالصاً لخدمة القرآن الكريم ، والتعرف على دقائق العربية وأسرارها ، " وقد عرض نظريته في الإعجاز بطريقة تغاير ما كتبه العلماء السابقون " [٣] ، ومفهوم الجرجاني لفكرة الإعجاز مردها جميعاً هو " النظم " [٤] ،ويمكن القول بأن علم البلاغة العربية قد نذر نفسه في حقبة تاريخية لخدمة قضية الإعجاز القرآني .

ومن الذين ساهموا في تطوير البلاغة المفسرون ، وصلة علم التفسير بالبلاغة أسبق من صلة علم الكلام بها [٥]، ولكي يستطيع المفسر أن يقوم بمهمته لابد أن يطلع على علوم اللغة العربية ، وقد أصبحت كتب البلاغة سبيلاً لدراسة القرآن وتفسيره ومعالم لإدراك فصاحته ، قال السكاكي : " واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن

---

(١) ينظر : البلاغة العربية، للعشري (ص : ١٢٦ – ١٣٢) . المباحث البلاغية ، للعمري (ص : ٢٢٧) .

(٢) ينظر : مجاز القرآن ، للصغير (ص : ٣٤) .

(٣) المباحث البلاغية ، للعمري (ص : ٢٢٩) .

(٤) إن نظرية النظم من أهم النظريات في البلاغة العربية ، ومعناه مطلق التأليف والترتيب ،ومعنى النظم في اصطلاح البلاغيين والنقاد " تنسيق دلالة الألفاظ وتلاقي معانيها بما تقوم عليه من معاني النحو والموضوعة في أماكنها على الوضع الذي يقتضيه العقل" . انظر: المباحث البلاغية، للعمري (ص:٢٣٠-٢٣٣). نظرية النظم عند الجرجاني ، حاتم البوعناني ، مقال من موقع " ويكيبيديا العربية " على الشبكة العنكبوتية ، رابط المقال " https://ar.wikipedia.org/wiki/ " ، تاريخ الإضافة : ١٥ يوليو ٢٠١٦ م .

(٥) البلاغة العربية ، للعشري (ص : ١٦ – ١٧) .

وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ولا طريق إلى تحصيله لذوي الفطر السليمة إلا إتقان علمي المعاني والبيان والتمرن فيهما"[١] .

ومن أهم الكتب التي عنيت بهذا الجانب تفسير الكشاف للزمخشري الذي يعتبر قمة عالية في ازدهار الدراسة البلاغية ، ليس عند المعتزلة بل في كل ما له من صلة بالدراسات البلاغية التي نشأت في أحضانهم ، وظلت فترة من الزمن حكراً عليهم [٢]، وقدم فيه صورة رائعة لتفسير القرآن، ففيه عصارة مجهودات السابقين جميعاً من معتزلة وغيرهم ، وزبدة ما تمخضت عنه أذهان البلاغيين العرب الذين تقدموه، والجدير بالذكر أن الزمخشري قد ابتدأ من حيث انتهى السابقون، وهذه حسنة له، فهو لم يدرس البلاغة دراسة نظرية، ولم يكتب عنها كتابة مستقلة، ولكنه راح بما أوتي من ذوق أدبي مرهف، وحس فني صادق، يطبق ما قرأه عن البلاغة في تفسيره للقرآن آية آية [٣].

إن المبدأ الغالب عليه في جهوده التفسيرية ، كان في تبيين ما في القرآن من الثروة البلاغية التي كان لها كبير الأثر في عجز العرب عن معارضته والإتيان بأقصر سورة من مثله [٤].

ويعد – بصرف النظر عما فيه من الاعتزال – تفسيراً لم يُسبق مؤلفه إليه، لما أبان فيه من وجوه الإعجاز في غير ما آية من القرآن، ولما ظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته، وليس كالزمخشرى مَن يستطيع أن يكشف لنا عن جمال القرآن وسحر بلاغته، لما برع فيه من المعرفة بكثير من العلوم ، لا سيما ما برز فيه من الإلمام بلغة العرب ، والمعرفة بأشعارهم. ، وما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة، والبيان والإعراب، والأدب، ولقد أضفى هذا النبوغ العلمي

(١) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي (١ / ٣١١) .

(٢) ينظر : فلسفة البلاغة (ص :١٠) . الإيضاح في علم البلاغة ، للقزويني (١ / ١١٧ و ١٢٠) .

(٣) ينظر : الموازنة بين تفسير الكشاف الزمخشري وتفسير البحر المحيط ، لرمضان يخلف (ص : ٦) .

(٤) ينظر : منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه ، للجويني (ص : ٢١٦ – ٢٦٣) .

والأدبي على تفسير الكشاف ثوباً جميلاً، لفت إليه أنظار العلماء وعلَّق به قلوب المفسِّرين [١].

كما تمثل جهد الزمخشري من جهة أخرى حيث طبق جميع قواعد علمي المعاني والبيان التي اهتدى إليها عبد القاهر ، مستشهداً بنصوص القرآن الكريم على ذلك " [٢] ، وأمام هذا الإنبهار للزمخشري تجاه علم البلاغة صرح بأنه لا يمكن لأحد أن يتصدى لتفسير كتاب الله وإن كان عالماً بالفقه والأصول وعلم الكلام واللغة والنحو والقصص والأخبار ما لم يكن بارعاً في علمين مختصين بالقرآن هما : علما المعاني والبيان [٣] .

ومن أشهر المفسرين الذين لهم جهود في البحث البلاغي العلامة فخر الدين الرازي في كتابه "التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب " ، لكنه " أخضع تفسير الذكر الحكيم للعقل ، ومزج علم الكلام بالمنطق والفلسفة ، وأرسى القواعد التقريرية في علم الكلام ، وعلوم البيان العربي " [٤]، ويعتبر تفسيره قمة الاتجاه في التفسير بالرأي ، " ويكثر الرازي من الاستشهاد بالآيات القرآنية على ما ذهب إليه ، والظاهر من تحليلاته البلاغية أنه متأثر جداً . . . بالزمخشري في الكشاف " [٥].

ومن المفسرين الذين لهم جهود في البحث البلاغي العلامة أبي حيان في كتابه " البحر المحيط " ، وذلك " بما يحمله من خصائص ، وبما تضمنه من نقد موضوعي لتفسير الكشاف في مختلف جوانبه قد أحدث نظرة جديدة لهذا التفسير ، وقد تجلت هذه النظرة في أعمال المفسرين اللاحقين وغيرها من الدراسات " [٦]، وجعل أبو حيان النظر في كتاب سيبويه شرطاً سابقاً فيمن أراد أن يتكلم في تفسير القرآن الكريم ، فقال : " فالكتاب هو المرقاة إلى فهم الكتاب ، إذ هو المطلع على علم الإعراب ، والمبدي من معالمه ما درس ، والمنطق من لسانه ما خرس ، والمحيي من رفاته ما رمس ، والراد

---

(١) التفسير والمفسرون ، للذهبي (١ / ٣٠٦ – ٣٠٧) .

(٢) ينظر : في تاريخ البلاغة العربية ، للعتيق (ص : ٢٦٢ _ ٢٦٣) .

(٣) ينظر : مقدمة تفسير الكشاف (١ / ٢) .

(٤) المباحث البلاغية ، للعمري (ص : ٢٩٠) .

(٥) المصدر السابق (ص : ٣١٥) .

(٦) ينظر : الموازنة بين تفسير الكشاف الزمخشري وتفسير البحر المحيط ، لرمضان يخلف (ص : ٣) .

من نظائره ما طمس ، فجدير لمن تاقت نفسه إلى علم التفسير ، وترقت إلى التحقيق فيه التحرير أن يعتكف على كتاب سيبويه ، فهو في هذا الفن المعول عليه ، والمستند في حل المشكلات إليه " [١].

مما سبق يبدو واضحاً للعيان أن هذا العلم إنما قام ونهض وترعرع – فضلاً عن نشوئه – من أجل إثبات فصاحة القرآن ، وأن كل بلاغة فهي دون بلاغته ، كما أن البلاغة في أصولها وفروعها وتضاعيفها مستندة إلى القرآن في ينابيعه الأولى ، التي أدهشت العربي غض الفطرة ، في بدويته الصافية تهزه الكلمة العذبة ، وتستهويه العبارة الفصيحة ، وكان ذلك العلم من ثمرات تدبر القرآن والتمعن في أساليبه البيانية، التي فاقت كل فنون العرب في الأداء والأسلوب والنظم ورصانة التأليف.

المسألة الثانية: أثر القرآن الكريم في حفظ الخط العربي وتطوره

عرفت اللغة العربية عدداً من الكلمات الدالة على استعمال القلم لرسم الحروف ، من أشهرها: الكتابة ، والهجاء ، والرسم ، والخط [٢]، واستعملت هذه الألفاظ بمعان مترادفة ، كما اختص بعضها بدلالة معينة في بعض العصور [٣] .

وأشهر تلك الألفاظ استعمالاً لفظة الكتابة [٤]، وهي من ضروب النثر ، وعمادها القلم [٥]، وسأتطرق في هذا المسألة إلى لمحات عن علم الكتابة ، وأصل الخط العربي ،

---

(١) البحر المحيط (١ / ١١). وينظر: الموازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري وتفسير البحر المحيط، لرمضان يخلف (ص : ٤١ و ٥٩).

(٢) عُرَف الخط بتعريفات أقربها وأوضحها – فيما أرى – ما اختاره كمال الجميلي ، حيث قال: " والذي نختاره لتعريف الخط :فن كتابة الحروف بقواعد خاصة تزيدها وضوحاً وجمالاً وجذباً " . ينظر: أثر القرآن في الخط العربي (ص: ٣٠٣) . بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات القرآنية (العدد التاسع، السنة: الخامسة والسادسة).

(٣) المصدر نفسه (ص : ٤٤) .

(٤) الكتابة لغة مصدر كتب إذا خط بالقلم أو ضم أو جمع أو خط ، وعرفا إعمال القلم باليد في تصوير الحروف ونقشها، وقد تطلق على نفس الحروف المكتوبة وأنواعها كثيرة، والغرض هنا بيان الكتابة العربية . ينظر : دراسات في أدب العرب قبل الإسلام، للعيثاوي (ص : ١١) .

(٥) ينظر : المصدر السابق (ص : ١١) .

وتطور الكتابة العربية والخط العربي في المرحلة الإسلامية حتى وصل إلى ما وصل إليه في عصرنا الحاضر ، ومن المتعذر أن يستطيع الإنسان مهما اتسعت معارفه أن يحيط بنشأة الكتابة الأولى إحاطة تطمئن إليها نفسه [١]، ومن الأمور التي تهم الدارس للقرآن الكريم أمران : جانب النطق و جانب الرسم ، وعلم رسم القرآن الكريم[٢] تعددت فيه الأقوال واختلفت الآراء وفي كل ذلك وليس القصد هو الإحاطة التامة بأدق التفاصيل ، وإنما هي مداخل أحاول إيضاحها من غير إطناب لترسيخ السياق العام للموضوع .

ولقد اختلف العرب أنفسهم في أصل خطهم ، كما اختلفوا في المحل الذي نشأ فيه ، وفي كيفية نشوئه وتطوره [٣] ، وتضمنت المصادر العربية القديمة أقوالاً وروايات عن أولية الخط عامة، والخط العربي خاصة، لكن " الرواياتُ فِي هَذَا الباب تكثر وتختلف" [٤] ، قال ابن النديم : " وكان في خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم في جلد آدم فيه ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري" [٥]، و كانت الكتابة منتشرة في مكة قبل الإسلام فإنها كانت مركزاً تجارياً ، وكانت الحضارة فيها أوسع مما حولها ، وكان فيها سبعة عشر رجلاً يكتبون ، وكذلك كان فيها نساء كاتبات ، وسبع نساء كن يكتبن أو يعرفن القراءة ، والخط الذي كانوا

(١) ينظر : الاتجاهات الحديثة في تحسين الكتابة ، للجبوري (ص : ١٤) .

(٢) تعني عبارة (رسم المصحف) : طريقة كتابة كلمات القرآن الكريم في المصحف ، كما كتبها أصحاب النبي محمد ﷺ ، وإذا كان مصطلح الرسم قد صار عَلَماً على علم كتابة المصحف ، فقد أستعمل أيضاً للدلالة على قواعد الكتابة ، وصار الرسم ينقسم إلى قسمين " الرسم القياسي والرسم الاصطلاحي " . ينظر : الميسر في علم رسم المصحف، للدكتور قدوري (ص : ٥ – ٢٨).

(٣) دراسات في علم الكتابة العربية ، لمحمود حمودة (ص : ١٩) .

(٤) الصاحبي ، لابن فارس (ص : ١٥) .

(٥) الفهرست (ص : ١٥) .

يكتبون به قبل الإسلام هو الذي أسماه ابن النديم بالخط المكي [١] ، فالعرب في الجاهلية كتبوا بالخط العربي إلا أنهم لم يعتنوا في تحسينه[٢].

من أهم علوم الخط علم ضبط المصحف الشريف الذي هو مجمع اهتمام الخطاطين جميعاً، فللمصحف خط خاص حسبما اصطلح عليه الصحابة رضوان الله عليهم عند جمع القرآن على ما اختاره زيد بن ثابت ، قال الزمخشري : " وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بنى عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ ، وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف.

قال عبد اللَّه بن درستويه في كتابه : المترجم بكتاب الكتاب المتمم : في الخط والهجاء خطان لا يقاسان : خط المصحف ، لأنه سنة ، وخط العروض لأنه يثبت فيه ما أثبته اللفظ ويسقط عنه ما أسقطه " [٣].

ليس هناك تشريف أرفع لعلم الخط من إضافة الله تعليم الخط لنفسه، وامتنانه بذلك على عباده[٤]، وعدَ بعض العلماء الخط أشرف العلوم وأنفعها [٥] ، قال صاحب كتاب زاد المسافر : "الخط لليد لسان وللخَلَد تَرجمان فرداءَته زَمَانة الأدب وجودته تبلغ بصاحبه شرائف الرتب وفيه المرافق العظام التي مَنّ الله بها على عباده فقال جل ثناؤه : ﴿ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذي عَلَّمَ بالْقَلَم ﴾ (سورة العلق، الآيات : ٣ – ٤) " [٦].

---

(١) ينظر : فتوح البلدان ، للبَلَاذُري (ص : ٤٥٢ – ٤٥٦) . الفهرست ، لابن النديم (ص : ١٦) . دراسات في تاريخ الخط العربي، للمنجد (ص : ٢٣) .

(٢) دراسات في علم الكتابة العربية ، لمحمود حمودة (ص : ٣٩) .

(٣) الكشاف (١ / ٢٧) .

(٤) ينظر : اللباب ، لابن عادل (٢٠ / ٤١٥) . غرائب القرآن ، للنيسابوري (٦ / ٥٢٩) . التعريف ببعض علوم الإسلام الحنيف ، لعبد الله نجيب (ص : ٩٥) .

(٥) ينظر : صبح الأعشى ، للقلقشندي (٣ / ٦ – ٧) .

(٦) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي (٢ / ٣٠٠) .

الخط والكتابة صنوان ، فالخط يحقق أغراض الكتابة ، بل هو وسيلة التخاطب ، ويحمل أقدس رسالة والنطق به عبادة لله التي لا يقبل الله صلاة بغيره ، قال المأمون: "لو فاخرتنا الملوك الأعاجم بأمثالها لفاخرناها بمالنا من أنواع الخط يقرأ بكل مكان، ويترجم بكل لسان، ويوجد مع كل زمان"(١).

إن بداية إبداع الخط العربي بدأ بداية متواضعة في عصر الرسول ﷺ،فلم تشهد الكتابة للصحف القرآنية ونُسخِها في عهد النبي ما يشير إلى شيء من التوقيف في الكتابة ، بل كانت بداية إبداع الكتابة والخط العربي ، فقد حث الرسول ﷺعلى الكتابة كما حث على القراءة (٢)، وقد ترك لنا هذا العصر عدداً من الرسائل ذات القيمة التاريخية التي بعثها الرسول ﷺللملوك والأمراء ، للنجاشي في الحبشة، والمقوقس في مصر، وملك البحرين، وملك الروم في دمشق (٣).

وصف الله العرب في القرآن الكريم بـــ (الأمة الأُميّة) ، حيث قال : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ ﴾ (سورة الجمعة ، من الآية : ٢) ، ونظراً لقلة انتشار الكتابة وانحصارها في أفراد قلائل من أهل الجزيرة العربية وصفت الأمة العربية بأنها أمية ،

وقد قال ابن خلدون في تاريخه عن الخط (١ / ٥٢٤): " وهو صناعة شريفة، إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يميز بها عن الحيوان ، وأيضاً فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الأغراض إلى البلد البعيد" .

(١) نوادر المخطوطات ، لعبد السلام هارون (٢ / ٦٧) ، كتب الأولون في كتبهم عن آداب الكتابة العربية وضوابطها ، ولا غنى لمن يريد الرجوع إلى هذه الآداب من الاطلاع على بعض هؤلاء الأولين في الكتب التالية : وأدب الكتاب ، لابن قتيبة الدينوري، المتوفى ٢٧٦ هـ . العقد الفريد ، لابن عبد ربه الأندلسي ، المتوفى ٣٢٨ هـ ، والذي يعتبر من أمهات كتب الأدب العربي . والفهرست ، لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم ، المتوفى: ٤٣٨هـ. صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، لأبي العباس القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ .

(٢) يدل على هذا أذن الرسول ﷺ لكل واحد من أسرى بدر من المشركين فداء من المال وعلى كل من عجز عن ذلك إن كان ذا دراية بالكتابة أن يعلمها عشرة من صبيان المدينة فلا يطلقونه إلا بعد تعليمهم.ينظر: زاد المعاد، لابن قيم الجوزية (٥ / ٥٩ – ٦٠).

(٣) ينظر : المصدر السابق (١ / ١١٦ – ١٢٠) .

وهذا الوصف للغالبية ولا يعني التعميم [١] ، كما وصف الرسول العربي ﷺ بـــ (النبي الأُمي) ولا يعني وصفه بالجهالة ، إنما يعني الاعتزاز والثناء على شخص لا يحسن القراءة ولا الكتابة، ومع ذلك صنع أمة متعلّمة [٢] ، فكان نزول سورة العلق هي بداية الرحلة إلى دنيا الريادة والتقدم من خلال الكتابة والخط العربي [٣].

ويمكن القول بأنها مرحلة الدعوة إلى تعلم الكتابة وتعليمها مما أدى إلى انتشارها،وكانت هذه المرحلة من شيوع الكتابة وانتشارها القاعدة التي أرسى عليها الخط دعائمه في المرحلة التي تليها[٤]، واقتضت طبيعة الرسالة الإسلامية أن يكثر الكتاب المتعلمون ، " وكانت الكتابة في عهد الرسول ﷺ تشمل شيئين : أولهما – وهو الأهم – كتابة الوحي ، والثاني تدوين الرسائل التي كان الرسول يكتبها للملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام ، وكذلك كتابة العهود والمعاهدات ، ولعل أقدم معاهدة إسلامية هي التي تمت بين المسلمين وبين غير المسلمين من سكان المدينة عقب هجرة الرسول إليها " [٥] .

وما فعله أبو بكر ﷺ في كتابة القرآن ليس من الأمور المستحدثة ولا من البدع الضارة الممقوتة، ولذلك قال المحاسبي : "كتابة القرآن ليست بمحدثة " [٦]، بل هو

---

(١) ينظر : رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث ، لشوحان (ص : ٢٥) ، اللهم إلا عدداً قليلاً في جزيرة العرب كلها، وبضعة عشر رجلاً من قريش خاصة ونفرًا قليلاً من أهل المدينة، ومجاوريهم من اليهود عرفوا الخط والكتابة قبل مبعث النبي ﷺ بقليل . ينظر : ينظر : فتوح البلدان ، للبَلَاذُري (ص : ٤٥٢ – ٤٥٦) .

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب ، للرازي (٣٠ / ٥٣٨) .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ، لابن عاشور (٣٠ / ٤٣٩ – ٤٤١) . تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي (ص:٩٣٠) . رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث ، لشوحان (ص : ٢٦) .

(٤) مجلة آفاق عربية العدد السابق (ص : ٩٦) ، والخط يقصد به الأداء اليدوي السريع "المشق" ، واليابس المستعمل في المخطوطات القديمة . نقلاً عن: بحث " أثر القرآن في الخط العربي " ، للجميلي (ص : ٣٠٧).

(٥) دراسات في علم الكتابة العربية ، لمحمود حمودة (ص : ٤٠) .

(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١ / ٢٣٨). الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١ / ٢٠٦). مناهل العرفان ، للزرقاني (١ / ٢٥٠) . مرقاة المفاتيح شرح ، للقاري (٤ / ١٥١٦) .

مستمد من القواعد التي وضعها الرسول ﷺ بتشريع كتابة القرآن واتخاذ كُتَّاب يكتبون له الوحي المنزل، فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته ، ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف وغيرها [١].

إن الصحابة رضوان الله عليهم أعملوا فكرهم في كتابة الآيات القرآنية ورسمها ، مستندين إلى القاعدة التي قالها لهم أمير المؤمنين عثمان بن عفانﷺ لكُتَّاب المصاحف: " إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فأكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم، ففعلوا "[٢].

فرُوِيَ عن الزهري أن كتبة المصاحف " اخْتَلَفُوا يَوْمَئِذٍ فِي ﴿ التَّابُوتُ ﴾ (سورة البقرة ، من الآية: ٢٤٨ وسورة طه، من الآية: ٣٩) و (التابوه)، فَقَالَ النَّفَرُ الْقُرَشِيُّونَ: ﴿ التَّابُوتُ ﴾، وَقَالَ زَيْدٌ: (التَّابُوهُ)، فَرُفِعَ اخْتِلَافُهُمْ إِلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ: اكْتُبُوهُ (التَّابُوتَ)، فَإِنَّهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ "[٣].

وقد كان رسم الكلمات في المصاحف العثمانية يرجع في الأصل إلى ما كان مرسوماً في الصحف التي جُمِعَ فيها القرآن في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ وهذه ترجع أيضاً إلى ما كُتِبَ في الرقاع بين يدي الرسول ﷺ ، ورسم المصحف بذلك يمثل الكتابة العربية في عصر ظهور الإسلام [٤].

وبعد انتشار الصحابة رضوان الله عليهم اتسع نطاق التعليم ، وكثرت حلقاتهم، وشاعت الكتاتيب في مختلف أرجاء البلاد الإسلامية ، وازدحمت بطلابها

---

(١) ينظر : الميسر في علم رسم المصحف ، لقدوري (ص : ٣٤ – ٣٨) .

(٢) أخرجه البخاري في " صحيحه " (كِتَابُ : فَضَائِلِ القُرْآنِ ، بَابُ : نَزَلَ القُرْآنُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ وَالعَرَبِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة يوسف، من الآية : ٢]، ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [سورة الشعراء، من الآية : ١٩٥]) (٦ / ١٨٢ ، رقم الحديث : ٤٩٨٤). قال محقق "المرشد الوجيز" (ص : ٥٠) : إن المقصود من قول عثمان هو التالي: "إذا اختلفتم في رسم كتابته فاكتبوه بالرسم الذي يوافق لغة قريش ولهجتها من نحو همز وغيره، فإنه نزل بها" .

(٣)كتاب المصاحف ، لابن أبي داود (ص : ٨٨).

(٤) ينظر : الميسر في علم رسم المصحف ، لقدوري (ص : ٣١ – ٥٢) .

والراغبين فيها ، وقد كان للكتابة وإتقانها أبعد الآثار في تدوين العلم وحفظه ، فدوّن كل ما له صلة بعلوم الشريعة والدين بإنقضاء القرن الثالث الهجري [١] .

المصاحف ودورها في التحسين والتجويد:

إن العرب لهم موهبة إلهية وفطرة غريزية غير مكتسبة ؛ لذلك كانوا يكتبون ويقرأون قراءة صحيحة فصيحة ، وكانت لهم ملكة قوية لا يحتاجون بها إلى وضع علامات لتمييز الحروف المتشابهة في الصورة [٢] و " لما كانت الكتابة العربية في عهد عثمان ﷺ لا تعرف الإعجام والشكل، فقد استمر العرب والمسلمون في قراءة القرآن وفق ما تسمح به الاحتمالات الممكنة للنص القرآني المكتوب من الأحرف السبعة " [٣] .

ومن الطبيعي أن يمر الخط العربي بمشاكل –من اللحن والتصحيف– نتيجة لخلوه أصلاً من الشكل والإعجام متبعاً في ذلك جذوره التي اشتق منها، فالخط النبطي نفسه لم يكن مشكولاً ولا معجماً، مما أدى إلى خطوة أخرى من التطور تمثلت في النقط [٤]، ولم يستعمل الخط العربي التشكيل أو التنقيط ولكن عندما اضطربت الألسنة اضطر العرب إلى ضبط الخط،فمن الأشياء المستحدثة في المصاحف النقط، وقد أدخلت النقط على الحروف حرصاً على سلامة القرآن وهما قسمان:إعراب و إعجام [٥]:

---

(١) ينظر : تاريخ ابن خلدون (١ / ٥٢٨) . أبجد العلوم ، للقنوجي (ص : ٩٣) . تطور الخط العربي ، لمحمد بشينة (ص : ٥٧).

(٢) ينظر : دراسات في علم الكتابة العربية ، لمحمود حمودة (ص : ٤٣) .

(٣) اللسان العربي المبين ، د. جعفر دك الباب (ص : ٣٥) ، نقلاً عن : بحوث في اللغة ، إعداد : مجموعة من العلماء ، الناشر : اتحاد كتاب العرب .

(٤) حملت الكتب الأولى المؤلفة في هذا العلم عنوان " النقط والشكل " ، لكن الكتب المتأخرة لهذا العلم صارت تحمل كلمة " الضبط " ، وقد ذكر الدكتور غانم قدوري الكتب المؤلفة في هذا العلم ، والكتب التي تضمنت أبواباً أو فصولاً في هذا العلم . ينظر : علم النقط والشكل (ص : ١٦ و ٢٤ – ٢٨) .

(٥) ينظر : المحكم ، للداني (ص : ٣) . النشر ، لابن الجزري (١ / ٣٣) . دراسات في علم الكتابة العربية ، للدكتور محمود حمودة (ص : ٤٧) .

أولاً : نقط الإعراب، وهو العلامات الدالة على ما يعرض للحرف من حركة أو سكون أو شد أو مد ، أو نحو ذلك [١] ، وعلى هذا يكون المعنى الأول للنقط مساوياً لمعنى الشكل والضبط .

واختلف في أول من وضعه : فقيل الخليل بن أحمد ، وقيل غيره ، والصحيح الذي عليه المحققون من العلماء أن المخترع الأول للنقط بمعناه الأول – وهو نقط الإعراب – أبو الأسود الدؤلي [٢].

و كانت أولى خطوات التجديد في نظام الكتابة العربية في عهد الدولة الأموية، حيث قام أبو الأسود الدؤلي بوضع علم النحو، و نظام تنقيط في رسم الحركات توضع فوق أو تحت أو بجانب الحرف، وانتشر هذا النظام في عهد الحجاج بن يوسف ، و قد كتب القرآن الكريم في تلك المرحلة بلونين مختلفين بالأسود للحروف وبالأحمر أو الأصفر لعلامات الإعراب [٣] ، وفي ابتداء ظهور التنقيط والتشكيل كانوا يكرهونهما ؛ من أجل الحفاظ على الأداء والرسم ، ويرون ذلك تشويهاً للمكتوب ، وتحصيلاً للحاصل [٤] .

ثم أخذ هذا التطور يدخل مرحلة جديدة في زمن الدولة العباسية أملتها رغبة الناس في تسهيل الكتابة وجعلها مع الشكل بمداد ذي لون واحد ، وفي هذا العصر ظهر إمام النحو الخليل بن أحمد، فأخذ نقط أبي الأسود وحور فيه ، وجعله على هذا النمط

---

(١) ينظر : رسم المصحف وضبطه ، لشعبان محمد إسماعيل (ص : ٨٧) . معجم علوم القرآن ، للجرمي (ص : ٢٩٥) .

(٢) ينظر : علم النقط والشكل، لقدوري (ص : ١٩) .

(٣) ينظر : المحرر في علوم القرآن ، للطيار (ص : ٢٣٩) .

(٤) ينظر : تاريخ الخط العربي، للكردي (ص: ٧٣) . الخط العربي وتطوره، لسهيلة الجيوري (ص: ٥٦) . دراسات في علم الكتابة العربية ، لمحمود حمودة (ص : ٤٣ و ٤٥) ، قلت : عن ابن مسعود : "جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء"، وعن ابن سيرين : "أنه كره النقط و الفواتح والخواتم " ، وقال مالك : "لا بأس بالنقط في المصاحف التي يتعلم فيها الغلمان أما الأمهات فلا " ، لكنّ ما يبين تغير العلماء في حكمه قول النووي:" ويستحب نقط المصحف وشكله فإنه صيانة من اللحن فيه ، و أما كراهة الشعبي والنخعي ، فإنما كرهاه في ذلك الزمان خوفاً من التغيير فيه ، وقد أمن اليوم فإنه من المستحدثات الحسنة". ينظر : التبيان في آداب حملة القرآن ، للنووي (ص : ١٨٩) . مناهل العرفان ، للزرقاني (١ / ٤٠٩) . المدخل لدراسة القرآن ، لأبي شهبة (ص : ٣٨٤) . دراسات في علوم القرآن ، للرومي (ص : ٣٨٢) .

المستعمل الآن ، بجعل الضمة واواً صغيرة تكتب فوق الحرف ، والفتحة ألفاً صغيرة مبطوحة ، والكسرة ياء [١].

ثانياً : نقط الإعجام ، هو العلامات التي تميز الحروف من بعضها كي لا يلتبس معجم بمهمل ، والحروف المعجمة خمسة عشر حرفاً [٢] .

ومرَّت كتابة المصحف بعد ذلك بمراحل مختلفة من التقدم في كتابته وزخرفته ، ويرجع الفضل في عملية إصلاح الكتابة العربية وتطورها، والتي اتضحت على الأخص في كتابة المصحف الشريف، إلى كل من ابن مُقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي ،ثم أخذ الخط العربي يسمو ويرتقي على يد هؤلاء المهرة الذين كان لهم اليد الطولى في تنميقه ، وتنسيقه ، وتميزت تلك المرحلة، بقيام مدارس خط مثل خط التعليق في بلاد فارس و الخط الديواني على يد الأتراك، وإلى جانب هؤلاء الخطاطين كانت هناك طائفة أخرى من المزخرفين والمذهبين للمصاحف كانوا يأتون في المرتبة الثانية بعد الخطاطين [٣].

خلاصة القول أن عناية المسلمين بالخط ترجع في الدرجة الأولى إلى أنه كان الوسيلة الأساسية التي حفظ بها القرآن ، وأن العرب تمكنوا – بسبب ما أدخلوه على الكتابة العربية من تعديلات أو إضافات– من المحافظة على لغتهم لغة القران الكريم ، فكل ما لحق بالخط العربي من تطوير كان نتيجة لصفة القدسية التي استمدها من كونه لغة القران الكريم.

---

(١) ينظر : المحكم ، للداني (ص : ٦) . معجم علوم القرآن ، للجرمي (ص : ٢٩٥) . دراسات في علم الكتابة العربية ، للدكتور محمود حمودة (ص : ٤٨) . علم النقط والشكل، لقدوري (ص : ٣٨) .

(٢) ينظر : رسم المصحف وضبطه ، لشعبان محمد إسماعيل (ص : ٨٩) . معجم علوم القرآن ، للجرمي (ص : ٢٩٤) .

(٣) ينظر : جواهر الأدب ، للهاشمي (٢ / ٢٠٣ – ٢٠٤) . رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث ، لشوحان (ص : ٢٨ – ٤٦) . الحملة الصليبية على العالم الإسلامي ، للطويل (٢ / ٣٥٩) .

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

من خلال ما تقدّم توصلت إلى النتائج والتوصيات التالية :

النتائج :

أولاً : اتفاق علماء اللغة العربية على أن اللغة العربية تستمد أصولها من القرآن، وأن أصولها ثابتة في القرآن، وأن لعلوم اللغة منافع مرتبطة بالقرآن فهماً وتحقيقاً، وارتباط ظهورها لخدمة القرآن الكريم .

ثانياً : دعوى جمود اللغة العربية وعدم مواكبتها العصر دعوى باطلة ، فهي قادرة على أن تكون لغة المستقبل محتفظة بأصالتها وعالميتها التي اكتسبتها من القرآن الكريم.

ثالثاً : إن ظهور اللحن وانتشاره وتسربه إلى القرآن الكريم هو الباعث على تدوين علم النحو .

رابعاً : إن البلاغة العربية تعتبر وجهاً من وجوه ثقافة الأمة ولا تنفكُّ عن القرآن في نشأتها وتطورها وثمارها ؛ بل سَعَتْ في خدمة بيانه، وساهمت في شرح إعجازه وبديع نظمه .

خامساً : يعتبر علم التجويد من أهم العلوم التي توافرت على خدمة القرآن العظيم ؛ لأن الغاية من علم التجويد هو صون اللسان من اللحن في ألفاظ القرآن الكريم عند الأداء .

سادساً : هناك علاقة لا إنفكاك لها بين علم التجويد وعلم الأصوات ؛ كون علم التجويد منذ البداية يدرس علم أصوات اللغة العربية ، ومباحثه متداخلة مع العلوم القرآنية وفنون اللغة العربية .

سابعاً : ارتباط علم التجويد بالقرآن العظيم كان سبباً في إقبال الناس عليه بدون إحساس بالكلل والملل ، وترسيخاً للنطق الصحيح لألفاظ اللغة العربية منذ نزول القرآن إلى يومنا هذا .

ثامناً : اكتسب الخط العربي مكانة مرموقة لارتباطه بالقرآن الكريم ، فأبدع الخطاطون في كتابة المصاحف وزخرفتها ، فكان سبباً من أسباب بقاء اللغة العربية .

التوصيات:

انتهى الباحث إلى التوصيات التالية :

أولاً : المسلمون مدعوون إلى تأكيد هذا التلاحم الفاعل بين كتاب الله تعالى وبين اللغة العربية ، بعد أن كان الطبع السليم عند العربي يكشف عن هذا الملحظ الذي لا ننفيه بذائقته الخالصة .

ثانياً : عدم المبالغة في اشتراط إجادة اللغة الانجليزية كتابة وتحدثاً في سوق العمل في بلادنا العربية ؛ لما في ذلك من إنعكاسات على ملامح الهوية الإسلامية .

ثالثاً : تخصيص جائزة للإبداع في الخط العربي عسى أن تسهم في الاحتفاظ بهذا التراث العظيم في أبناء الأمة وتنميه .

رابعاً : الدعوة إلى إنشاء هيئات رسمية مختصة لعمل أعمال معجمية تضاف إلى الأعمال المعجمية السابقة وللعناية بالمعجمات القرآنية طباعة وإخراجاً ومراجعة.

خامساً : إمكانية إفادة علم التجويد من الدراسات الصوتية الحديثة، ومن علم الصوتيات الحديث .

كانت هذه أهم النتائج والتوصيات من مفردات البحث على وجه الإشارة والتمثيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وسلم تسليماً كثيراً .

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : المصادر والمراجع المطبوعة .

١. أبجد العلوم ، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ، الناشر: دار ابن حزم ، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .

٢. الاتجاهات الحديثة في تحسين الكتابة ، لمحمود شكر الجبوري ، الناشر : دار دجلة بعمان – الأردن ، ٢٠١٢م.

٣. الإتقان في علوم القرآن ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .

٤. أثر القرآن في تطور النقد العربي ، للدكتور محمد زغلول سلام ، قدم له : محمد خلف الله أحمد ، الطبعة الأولى ، الناشر : مكتبة الشباب .

٥. أثر النحاة في البحث البلاغي ، للدكتور عبد القادر حسين ، الناشر دار غريب للطباعة بالقاهرة ، تاريخ الطبع : ١٩٩٨ م .

٦. أدب الكاتب (أو) أدب الكتّاب ، لأبي محمد عبد الله مسلم بن قتيبة الدينوري ، المحقق: محمد الدالي ، الناشر: مؤسسة الرسالة .

٧. أرشيف ملتقى أهل الحديث – ١ ، مضاف للمكتبة الشاملة ، تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢ هـ = ديسمبر ٢٠١٠ م ، هذا الجزء يضم: المنتدى الشرعي العام ، رابط الموقع: http://www.ahlalhdeeth.com .

٨. أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني ، للدكتور عمر محمد عمر باحاذق ، الناشر : دار المأمون للتراث بدمشق – سوريا ، الطبعة : الأولى ، تاريخ الطبع : ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

٩. الإصابة في تمييز الصحابة ، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ .

١٠. الأصوات ووظائفها ، لمحمد منصف القماطي ، الناشر : دار الوليد بطرابلس ، الطبعة : بدون ، تاريخ النشر : ٢٠٠٣م .

١١.أصول علم العربية في المدينة ، المؤلف: عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة ٢٨، العددان ١٠٥ -١٠٦، ١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ /١٩٨٧-١٩٨٨م.
١٢.الاعتصام ، لإبراهيم بن موسى بن محمد الشهير بالشاطبي ، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي ، الناشر: دار ابن عفان، السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
١٣.إعجاز القرآن للباقلاني ، لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب ،تحقيق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف - مصر ، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م .
١٤.إعراب القرآن وبيانه ، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ، الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥هـ .
١٥.الأوائل ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، الناشر: دار البشير- طنطا ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ .
١٦.الإيضاح في علوم البلاغة ، للأبي المعالي محمد بن عبد الرحمن جلال الدين القزويني ، المعروف بخطيب دمشق ، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي ، الناشر: دار الجيل - بيروت ، الطبعة: الثالثة .
١٧.البحث اللغوي عند العرب ، للدكتور أحمد مختار عبد الحميد ، الناشر: عالم الكتب ، الطبعة: الثامنة ، ٢٠٠٣م.
١٨.البحر المحيط في التفسير ، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي ابن حيان الأندلسي ، المحقق: صدقي محمد جميل ، الناشر: دار الفكر - بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ .
١٩.بحوث في اللغة ، إعداد : مجموعة من العلماء ، الناشر : اتحاد كتاب العرب .
٢٠.البرهان في علوم القرآن ، لمُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ الزركشي ، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .
٢١.البلاغة العربية تاريخها مصادرها مناهجها ، للدكتور علي عشري زايد ، الناشر : مكتبة الآداب بالقاهرة - مصر ، الطبعة السادسة ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
٢٢.بلاغة النص القرآني ، بحوث الندوة العلمية التي نضمها مركز الدراسات القرآنية بالرابطة المحمدية للعلماء ، تقديم أحمد عبادي ، تنسيق وتحرير : محمد النتار ، بحث :

البلاغة القرآنية والتفسير مداخل منهجية ، للدكتور عبد الجليل هنوش ، الناشر : مركز الدراسات القرآنية بالرباط ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٥ ه / ٢٠١٤ م .
٢٣.بيان إعجاز القرآن ، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)] ، لأبي سليمان حمد بن محمد المعروف بالخطابي ، المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ، الناشر: دار المعارف بمصر ، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م .
٢٤.البيان والتبيين ، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ ، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت ، عام النشر: ١٤٢٣ هـ .
٢٥.تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسينيالزَّبيدي ، المحقق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية .
٢٦.تاريخ ابن خلدون ، للعلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي .
٢٧.تاريخ بغداد ، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، وذيوله (المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي، للذهبي – ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار – المستفاد من تاريخ بغداد، لابن الدمياطي – الرّد على أبي بكر الخطيب البغدادي، لابن النجار) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ .
٢٨.التبيان في آداب حملة القرآن ، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، حققه: محمد الحجار ، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر – بيروت – لبنان ، الطبعة: الثالثة ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .
٢٩.تحت راية القرآن ، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي ، الناشر: المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ، الطبعة الأولى – ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .
٣٠.التحديد في الإتقان والتجويد ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ، دار عمار بعمان – الأردن ، دراسة وتحقيق : الدكتور غانم قدوري الحمد ، الطبعة الأولى ، تاريخ الطبع : ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .
٣١.التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .

٣٢.ترتيب العلوم ، لمحمد بن أبي بكر المرعشي الشهير بـــساجِقْلي زادَه ، تحقيق : محمد إسماعيل ، سنة الطبع ١٤٠٨ هـــ / ١٩٨٨ م ، رقم الطبعة : الأولى ، دار الطبع : دار البشائر الإسلامية، بيروت .
٣٣.تطور الخط العربي في ظل الحضارة العربية الإسلامية ، لمحمد عمر بشينة نشر : مكتبة زهراء الشرق بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٢ م .
٣٤.التفسير والمفسرون ، للدكتور محمد السيد حسين الذهبي ، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة .
٣٥.التمهيد في علم التجويد ، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري ، تحقيق : الدكتور على حسين البواب ، الناشر:مكتبة المعارف – الرياض ،الطبعة:الأولى،١٤٠٥ هـــ-١٩٨٥م .
٣٦.تهذيب التهذيب ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـــ .
٣٧.تهذيب اللغة ، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .
٣٨.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـــ -٢٠٠٠ م .
٣٩.ثبوت القرآن الكريم وسلامته عند أهل السنة والجماعة ، للدكتور عوض حسن علي الوادعي ،
٤٠.الجامع المسند الصحيح = صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل البخاري ، المحقق : محمد زهير ، الناشر : دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة : الأولى، ١٤٢٢ه ـــ
٤١.الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، المحقق: د. محمود الطحان ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض .
٤٢.جمهرة اللغة ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق :رمزي منير بعلبكي، الناشر:دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة:الأولى، تاريخ الطبع : ١٩٨٧م .
٤٣.جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ، اشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين ، الناشر: مؤسسة المعارف، بيروت.

٤٤.حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة : الرابعة ، ١٤٠٥هـ .
٤٥.الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور – الممارسة – سبل المواجهة) ، ليوسف العاصي إبراهيم الطويل ، الناشر: صوت القلم العربي، مصر ، الطبعة: الثانية، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م .
٤٦.الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: الرابعة
٤٧.الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه ، للدكتور مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
٤٨.دراسات في أدب العرب قبل الإسلام ، للدكتور أحمد حسين العيثاوي ، الناشر : دار دجلة بعمان – الأردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠١١ م .
٤٩.دراسات في تاريخ الخط العربي ، للدكتور صلاح الدين المنجد ، الناشر : دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ م .
٥٠.دراسات في علم الكتابة العربية ، للدكتور محمود عباس حمودة ، الناشر: مكتبة غريب بالقاهرة .
٥١.دراسات في علوم القرآن الكريم ، للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي ، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ، الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
٥٢.دور البصرة في نشأة الدراسات اللغوية (العروض) ، للدكتور زهير غازي زاهد .
٥٣.ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم (المعروف بتاريخ ابن خلدون) ، لعبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ، حققه: خليل شحادة ، الناشر: دار الفكر ببيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
٥٤.رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث ، لأحمد شوحان ، الناشر : موقع إتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت – دمشق ، ٢٠٠١ م .
٥٥.الرسالة ، لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس القرشي الشافعي ، المحقق: أحمد شاكر ، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م .

٥٦.رسائل ابن حزم الأندلسي ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، المحقق: إحسان عباس ، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، الطبعة: الجزء: ١ – الطبعة: ١، ١٩٨٠م ، الجزء: ٢ – الطبعة: ٢، ١٩٨٧م ، الجزء: ٣ – الطبعة: ١، ١٩٨١ م ، الجزء: ٤ – الطبعة: ١، ١٩٨٣ م .

٥٧.رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة ، لشعبان محمد إسماعيل ، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر ، الطبعة: الثانية .

٥٨.الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة ، للإمام المقرئ أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : د . أحمد حسن فرحات ، الناشر: دار عمار – الأردن ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .

٥٩.زاد المعاد في هدي خير العباد ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية الكويت ، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م .

٦٠.الزاهر في معاني كلمات الناس ، لمحمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ،المحقق: د. حاتم صالح الضامن ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى،١٤١٢ هـ -١٩٩٢م .

٦١.سبب وضع علم العربية ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: مروان العطية ، الناشر: دار الهجرة – بيروت / دمشق ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م .

٦٢.سنن النسائي الكبرى ، لأحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق :د.عبد الغفار البنداري ، سيد كسروي حسن ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ ه / ١٩٩١ م .

٦٣.الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، لأحمد بن فارس بن زكرياء الرازي ، الناشر: محمد علي بيضون ، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .

٦٤.صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت .

٦٥.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .
٦٦.الصناعتين ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت ، عام النشر: ١٤١٩ هـ .
٦٧.ضحى الإسلام ، لأحمد أمين ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ،تاريخ الطبعة: ١٩٩٨ م .
٦٨.الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، ليحيى بن حمزة العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللّه ، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ .
٦٩.العقد الفريد ، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه المعروف بابن عبد ربه الأندلسي ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ .
٧٠.علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، لمحمود السعران ،الناشر:دار الفكر العربي بالقاهرة ،الطبعة:الثانية ، تاريخ النشر :١٩٩٧ م .
٧١.علم النقط والشكل التاريخ والأصول، للدكتور غانم قدوري الحمد ، الناشر: دار عمار بعمان – الأردن ، الطبعة الأولى ، تاريخ الطبع : ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م .
٧٢.غاية النهاية في طبقات القراء ، لشمس الدين محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري ، الناشر: مكتبة ابن تيمية ، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام١٣٥١هـ ج.برجستراسر .
٧٣.الغريبين في القرآن والحديث ، لأحمد بن محمد الهروي ، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي ، قدم له وراجعه: د. فتحي حجازي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز بالسعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م .
٧٤.الفائق في غريب الحديث والأثر ، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله ، المحقق: علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار المعرفة – لبنان ، الطبعة: الثانية .
٧٥.الفتاوى الكبرى لابن تيمية ، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني ، الناشر: دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .
٧٦.فتوح البلدان ، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري ، الناشر: دار ومكتبة الهلال– بيروت ، عام النشر: ١٩٨٨ م .

٧٧.فصول في فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م .
٧٨.فقه اللغة وسر العربية ، لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ، المحقق: عبد الرزاق المهدي ، الناشر: إحياء التراث العربي ، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٧٩.الفهرست ، لأبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم ، تحقيق : إبراهيم رمضان ، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة:الثانية، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م .
٨٠.في البحث الصوتي عند العرب ، للدكتور خليل إبراهيم العطية ، الناشر: دار الجاحظ ببغداد ، ١٩٨٣م .
٨١.في تاريخ البلاغة العربية ، للدكتور عبدالعزيز عتيق ، الناشر : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ببيروت .
٨٢.القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ، للدكتور عبدالهادي الفضلي ، الناشر : مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع ببيروت – لبنان ، الطبعة الرابعة، تاريخ الطبع ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م .
٨٣.القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ، لمحمد حبش ، الناشر: دار الفكر – دمشق ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .
٨٤.كتاب السبعة في القراءات ، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي ، تحقيق :د.شوقي ضيف ، الناشر : دار المعارف - القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ .
٨٥.كتاب العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال .
٨٦.كتاب المصاحف ، لأبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي ، المحقق: محمد بن عبده ، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٨٧.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ .

٨٨.اللباب في علوم الكتاب ، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل ، المحقق: الشيخ عادل أحمد والشيخ علي محمد معوض ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م .
٨٩.لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .
٩٠.اللغة العربية معناها ومبناها ، لتمام حسان عمر ، الناشر: عالم الكتب ، الطبعة: الخامسة ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
٩١.لغة القرآن لغة العرب المختارة ، للدكتور محمد رواس قلعه جي ، الناشر : دار النفائس ببيروت– لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ م ١٩٨٨ م .
٩٢.المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني ، للذكتور أحمد جمال العمري ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .
٩٣.المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، للدكتور محمد حسين الصغير ، الناشر : دار المؤرخ العربي ببيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .
٩٤.مجاز القرآن ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري ، المحقق: محمد فواد سزگين ، الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة ، الطبعة: ١٣٨١ هـ .
٩٥.مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية ، للدكتور محمد حسين الصغير ، الناشر : دار المؤرخ العربي – ببيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .
٩٦.المحكم في نقط المصاحف ، لعثمان بن سعيد الداني أبو عمرو ، تحقيق : د. عزة حسن ، الناشر : دار الفكر – دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ .
٩٧.المدارس النحوية ، لأحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف ، الناشر: دار المعارف .
٩٨.المدخل ، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج ، الناشر: دار التراث ، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ .
٩٩.المدخل لدراسة القرآن الكريم ، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة ، الناشر: مكتبه السنة – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م .

١٠٠. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، لشهاب الدين عبد الرحمن المقدسي المعروف بأبي شامة ، المحقق : طيار آلتي قولاج ، الناشر : دار صادر – بيروت ، سنة النشر : ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .
١٠١. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، لأبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ، الناشر: دار الفكر ببيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .
١٠٢. المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: فؤاد علي منصور ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .
١٠٣. مشكاة المصابيح ، للعلامة الشيخ ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي ، مع شرحه مرعاة المفاتيح للشيخ أبي الحسن عبيدالله بن العلامة محمد عبدالسلام المباركفوري .
١٠٤. المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم ، للدكتور عبد الرحمن بن محمد الحجيلي ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى .
١٠٥. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ، تحقيق: إحسان عباس ، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م .
١٠٦. معجم الدراسات القرآنية ، للدكتورة ابتسام مرهون الصفار ، مكتبة الجامعة الاردنية ، تاريخ النشر : ٢٠١٤ م .
١٠٧. المعجم العربي نشأته وتطوره ، لحسين نصار ، الناشر : دار مصر للطباعة ، الطبعة الرابعة ، سنة النشر : ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
١٠٨. معجم المعاجم ، لأحمد الشرقاوي إقبال ، الناشر : دا ر الغرب الإسلامي ، الطبعة : الثانية ،سنة النشر : ١٩٩م.
١٠٩. معجم المعاجم العربية ، ليسرى عبد الغني ، الناشر : دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى ،١٩٩١م .
١١٠. معجم آيات القرآن (فهرس تفصيلي مرتب على حروف الهجاء) ، للدكتور حسين نصار ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م .

١١١. معجم مصنفات القرآن الكريم ، للدكتور علي شواخ إسحاق ، الناشر : دار الرفاعي للنشر والتوزيع والطباعة – الرياض ، الطبعة الأولى ، تاريخ النشر : ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
١١٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، لمحمد فؤاد عبدالباقي ، الناشر : دار الحديث بالقاهرة – مصر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
١١٣. معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس بن زكريا الرازي ،المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
١١٤. المفردات في غريب القرآن ، للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داودى ، الناشر : دار العلم الدار الشامية بدمشق ـ بيروت ، سنة الطبع : ١٤١٢هـ .
١١٥. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، للدكتور جواد علي ، الناشر: دار الساقي ، الطبعة: الرابعة / ٢٠٠١م .
١١٦. مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع] .
١١٧. ملاحظات على مساهمات المستشرقين في الدراسات القرآنية ، للدكتور شتيفان فيلد ، الناشر : بدون ، تاريخ الطبعة : بدون ، الطبعة : بدون .
١١٨. مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، الناشر : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الثالثة .
١١٩. المنحى الإعتزالي في البيان وإعجاز القرآن ، لأحمد أبو زيد ، الناشر : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرباط ، الطبعة الأولى .
١٢٠. منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه ، للدكتور مصطفى الصاوي الجويني ، الناشر : دار المعارف بمصر ،الطبعة الثانية ، ١٩٦٨ م .
١٢١. الموجز في تاريخ البلاغة ، للدكتور مازن المبارك ، الناشر : دار الفكر .
١٢٢. الموسوعة القرآنية المتخصصة ، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عام النشر: ١٤٢٣ هـ–٢٠٠٢ م .
١٢٣. موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة ، نشره : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر ، أعده للشاملة/ عويسيان التميمي البصري .

١٢٤. الميسر في علم رسم المصحف وضبطه ، للدكتور غانم قدوري الحمد ، الناشر : معهد الإمام الشاطبي بجده – السعودية ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٧ هـ – ٢٠١٦ م .
١٢٥. النحو العربي القديم والنقد اللساني الوصفي الخارجي وصف تحليل ونقد ، لحسين أبي شنب ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، تخصص لسانيات عربية ، بوزارة التعليم العالي بالجمهورية الجزائرية ، السنة الجامعية ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦ م .
١٢٦. نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لعبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري ، المحقق: إبراهيم السامرائي ، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .
١٢٧. نشأة المعاجم العربية وتطورها (معاجم المعاني – معاجم الألفاظ) ، للذكتور ديزرة سقال ، دار الصداقة العربية للطباعة والنشر – بيروت ، الطبعة الأولى ، تاريخ الطبع : ١٩٩٥ م .
١٢٨. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، للشيخ محمد الطنطاوي ، تحقيق : أ. د/ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل ، الناشر : بدون ، الطبعة بدون ، تاريخ النشر : بدون .
١٢٩. النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، أشرف على تصحيحه ومراجعته : علي محمد الضباع –شيخ عموم المقارئ: بالديار المصرية .
١٣٠. النشر في القراءات العشر ، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري ، المحقق : علي محمد الضباع ، الناشر : المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية] .
١٣١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي– القاهرة .
١٣٢. النكت في إعجاز القرآن ، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)] ، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ، تحقيق : محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ، الناشر: دار المعارف بمصر ، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م .
١٣٣. نوادر المخطوطات ، لعبد السلام محمد هارون ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م .
١٣٤. الواضح في علوم القرآن ، لمصطفى ديب البغا ومحيى الدين ديب مستو، الناشر:دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق ،الطبعة :الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .

ثالثاً : المواقع الإلكترونية .

١. الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور غانم قدوري ، على الرابط: www.dr-ghnim.com.

٢. موقع " شبكة صيد الفوائد ، رابط : www.saaid.net/Doat/aldgithr/٣٣.htm?print_it=١ .

٣. موقع صيد الفوائد ، على الرابط :https://www.saaid.net/Doat/alahdal/٧٣.ht.

٤. موقع " ملتقى أهل التفسير " ، رابط : *https://vb.tafsir*٣٠١٠٦.

٥. موقع شبكة الألوكة ، رابط : http://www.alukah.net/web/fayad/٠/٢٣٧٦٩/#ixzz٤u٤٢FOtH٤.

٦. موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابط : *quran-m.com/quran/.../* .

٧. موقع " ويكيبيديا العربية " ، على الرابط "https://ar.wikipedia.org/wiki/ ".